رواية

نساء من زحل

منى سليمان مراد

- الكتاب : **نساء من زحل**
- المؤلف : **منى سليمان مراد**
- التصنيف : **رواية**
- يصدر عن

شعلة الإبداع للطباعة والنشر

- **المشرف العام**

الشاعر الإعلامي / أشرف عزمي

- الإخراج الفني : **أسماء أشرف عزمي**
- ت : ٠١٢٨٠٥٣٤٥٠٢ / ٠١٠٠٩٢٦٢٠٠٠
- البريد الإليكترونيّ:

shoaletalebdaa@gmail.com

- بالتعاون مع

مركز عماد قطرى للإبداع والتنمية الثقافية

- رقم الإيداع: **١٩٤٢٧ / ٢٠٢٠**
- L.S.B.N : 0 - 978-977-6681-75

حقوق الطبع محفوظة

و يعتبر المؤلف مسئولاً مسئوليةً كاملةً عن كلِّ ما وَرَدَ في الكتاب.

نختارأحيانا الطريق الصحيح
لمجرد أن الطريق الخاطئ ليس شاغراً

هانز كرايشمر

الفصل الأول

أسماء

عانت كثيراً من آلآم الولادة، كان معها داخل الرحم توائم كثيرة تدفعها للخروج .. تريد أن تخرج للنور

لكن الطريق أمامها كان مُغلقا، فجدران الرحم بيتها الذي إعتادته، أما خارج الرحم فمظلم وبارد ومخيف. تتمنى البقاء فلاتقدر .. تصيبها التقلصات والدفعات بالألم والإختناق لكنها تخشى أ ن تخرج للمجهول.

أخيراً تشجعت وخرجت تناولتها آمها بالقلم وسطرتها فوق الورق .. ثم دفنتها في أحد الأدارج واستعدت لإستلام مولودها الجديد من الأفكار .

لم تعجب تلك المقدمة أسماء ،فقامت بتمزيق الورقة وكتبت ..

الإنسان يشبه الفرجار كثيراً له قدمان مثله.. إحداهما مثبتةعلي الورقة .والأخرى تدور وتدور مهما إبتعدت تعود من حيث ذهبت كجذرممتد داخل الأرض .. كل منا له قدم مثبته داخل الأرض تمثل جذوره وقدما أخرى تدوروتدورولكنها تعود دوماً إلي نفس النقطة التي بدأت منها حياته.

لم تكن أسماء تعلم لماذا تحتارهكذا في كتابة مقدمة لهذا الكتاب .. ربما لأنه يُعبرعن المرأة وهى تتعاطف دوما مع النساء تهز النساء مشاعرها ويحزننها فهن نصف الإنسانية الأكثر تعاسة و المحمل أكثر بالأثقال منهن من حملت حمولتها تلك برضى حتى وإن لم تحظ بأي شكر أو تقدير ومنهن من ناء ظهرها بحملها فأصابها وهن على وهن ونصف الإنسانية الآخر وقف متفرجا أو شامتا

كانت أسماء تخاف ألا تكون محايدة .. تجاربها مع الرجال لم تكن جيدة أبدا، رغم حبها لأبيها الشخص الوحيد الذي فهمها وأحاطها بحبه ورعايته . وبرغم عشقها للكتابة فهي خائفة.

فالكتابة شئ لايمكن التلاعب به. تأتيك فتكون مرغماً، تسلبك حياتك وتأخذك من نفسك .عندما أختارتها الكتابة شقيت بها. فكما أن الخيروالشريتصارعان ليصنعا منك إنساناً.. فإن النعمة والنقمة تتصارعان لتجعلا منك كاتبا.

بالنسبة لأسماء كانت الكتابة متعتها وبسمتها وتنهيدة تخرج لتعبر عما بها لم تكن وحيدة أبداً. بالمعنى المتدوال للوحدة فلها ثلاث شقيقات والكثيرمن الصديقات لكنها كانت تحب الخلوة.

أعتقدت دائما أن الخلوة هي أن تكون وحدك دون أن تشعربأنك وحيداً.

حين أهداها والدها أول كراسة كانت في الرابعة من عمرها جعلت تتحسس الورق وتشمه .. وكم كانت فرحةً به

ظنت أمها أنها تريد أن تقلد شقيقتها الكبرى التى تذهب إلى المدرسة .

لكن الورق بالنسبة لها كان موعداً مع قدرها .. أحضر لها والدها الكراسة ..لأنها كانت تآخذ كراسات شقيقتها وتكتب وترسم بها فقرر أن يكون لها كراساتها وأقلامها.. ثم أحضر لها مكتباًخاصاً بها

كم كانت سعيدة بهذه الخصوصية لم تنس ذلك اليوم ابداً ولم تنس

ملمس الورق ولا رائحته . فكانت تطلب دوماً من أبيها كراسات جديدة وأقلاما فيحضرها لهاعن طيب خاطر.. وكأنه فهم العلاقة الغرامية التي نشأت بينها وبين الورق.

نعم حافظ الورق عليها فلم تنجرف أبداً بعيداًعنه، وملأ وقت فراغها..بل ملأ حياتها كلها

أجمل شئ في الحياة أن يكون لديك هواية ما تتعرف بهاعلي نفسك. والأجمل أن تكون تلك الهواية هي مهنتك ومستقبلك .

درست أسماء الصحافة في كلية الآداب ومن يومها وهى تكتب وتراسل الصحف حتى عملت في جريدة " القلم الحر "

كانت ترى نفسها معتدلة الخطي مستقيمة الأهداف لذا كان يؤلمها كثيراً أن ترى انساناً بائساً يتخبط لم يهتدِ للطريق المستقيم ولم يحدد هدفه.

عندما قرأت هذه المقدمة لرئيس التحرير كمقدمة لسلسة مقالات عن أشخاص ضلواالطريق وتعثرت خطواتهم .

ابتسم قائلا :

أتريدين إقناعي بأنك قديسة! ربما ينطبق عليك قول القائل..

"نختارأحياناالطريق الصحيح لمجرد أن الطريق الخاطئ ليس شاغراً" .

- صحيح .الحمد لله لم تنزلق قدمي ابداً في طريق الخطأ.

- ولاتخافين أن تندمي في يوم من الأيام.

لم تشعرقبلها أن رئيس التحريرشخص مرح

اكمل قائلا :

- عموماً مكافأة لك على نجاح المقالات سيتم جمعها في كتاب يتحدث عن نساء ضللن الطريق وتعثرت خطواتهن إختاري عنوانا مناسبا للكتاب .

خرجت من مكتب رئيس التحرير، والسعادة تملؤها،كانت سعيدةلأنها ظلت لأعوام كثيرة تكتب ولاينشراسمها،ومنذ حالفها الحظ وبدأت العمل في

جريدة القلم الحر،وبعدها بدأت في كتابة سلسلة المقالات عن النساء الضائعات التي رشحتها لجائزة افضل صحفية.

قابلت بعض المحكومين بالإعدام أوالمؤبد وبعض نزلاء مستشفى الأمراض العقلية،وأجرت حوارات مع أسرهم وبعض نزلاء دورمعالجة الإدمان،وكانت في كل تلك المقالات تحجب اسم بطل القصة وتغيركل مامن شأنه كشف هويته .

كانت تنظرلتلك الحكايات وكأنها حكايات من ماضٍ بعيد أرادت ألا تتأثربأبطالها أوتتعاطف معهم،ألتقت بالعديد من النساء الساكنات مجتمعاتنا .. وحاولت التوغل داخل شخصياتهن وكشف أعماق أرواحهن.

خرجت أسماء من الجريدة وأقدامها لا تكاد تلامس الأرض من شدة سعادتها. تنبهت فجأة أن اليوم هو أول إبريل ،هل يكون رئيس التحرير قد دبر لها مقلبا ،ربما يكون الآن يحكي ما دار بينه وبينها من حديث ،استدارات أسماء عائدة إلى الجريدة ،لكنها وقفت في مكانها ولم تتقدم إلى الأمام خطوة واحدة ،كانت تفكر فى حديثها مع رئيس التحرير غير مصدقه هل قال لها فعلا أنه سيجمع تحقيقاتها في كتاب،مثل كبار الكتاب والصحفيين ثم ردت على نفسها، نعم لقد قال ذلك سمعته

بأذني .

ربما كان يكذب عليَ، ولم يكن حديثه معي سوى مقلب أول أبريل

عادت تحادث نفسها بصوت مسموع لا لا إن رئيس التحرير شخص وقور وليس شخصا تافها يرتكب هذه التفاهات التى تدور بين الأصدقاء ، كما انني لست صديقته .استدارات أسماء ونزلت السلم لتدخل محطة المترو ولكنها لم تقف لتنتظر المترو مع المنتظرين ،بل جلست على المقاعد المعدة

للاستراحة ،جاء المترو نظرت فوجدته مكتظا، فظلت مكانها حتى يأتي غيره وكانت تفكر فيما ستكتبه هل ستكتفى بما جمعته حتى الأن أم ستضيف إليه شخصيات اخرى ،عندما جاء المترو التالي قامت وركبت عربة النساء كما اعتادت دائما، وجدت العربة مملوءة بنساء من مختلف الأعمار ،عائدات من العمل أو من الجامعة ربات بيوت يحملن حقائب مشترياتهن المنزلية ، ابتسمت لها طفلة صغيرة تمسك بيد والدتها الحامل فى الشهر الأخير تقريبا فقد كانت بطنها ضخمة.

أولئك النساء، ينظر البعض فيظنهن مستسلمات ،وتافهات، وقد يلمح من بينهن من تتصف بالذكاء أو الطموح ، ومن تتصف بخفة الدم والمرح ، ولكنهن جميعا متماثلات فى نهاية المطاف متشابهات، إلى أبعد حد ،مستغرقات في النضال الضاري من أجل التميز، كل واحده منهن تقاتل ليكون لها خصوصية ،لكنهن في النهاية متشابهات إلى أبعد حد، وكأنهن جميعا قد صببن في قالب واحد .

عندما وصل المترو إلى المحطة التي تنزل بها عادة قبل منزلها بثلاث

محطات لأنها تحب المشي ولكنها اليوم كانت تتمنى حدوث شيئ مختلف ،خرجت مع الأفواج المندفعة وبدأت تغذ الخطى فوق الرصيف تكاد تكون حركة السيرشديدة الزحام في الشارع أن تكون أصيبت بالشلل ،

رأت مجموعة من النساء يسرن بجانبها ،كن متعجلات يتمنين أن يصلن إلى بيوتهن سريعا لإعداد الطعام لأولادهن وأزواجهن ،وهى ليس في بيتها زوج ولا ولد لم يكن في بيتها سوى أمها فقد تزوجت شقيقاتها الثلاث ،وصديقاتها الأربع وانشغلن جميعهن بحياتهن وأولادهن ، وبقيت هى وحيدة متفرغة متوفرة دائما ، ولولا نيفين صديقتها وجارتها لما وجدت من تحدثه سوى أمها

التى تناكدها وتشاكسها دوما بسبب أمر وحيد ، لا تمل من ذكره وأعادته وتكراره .

جاءها انذار من الفيس بوك صباحا أن تبقى فى مكان جاف فمدينة القاهرة معرضة لسقوط الأمطار، لقد خرجت من الجريدة مبكرا بسبب هذا الأمر،ونزلت قبل المحطة القريبة من بيتها بثلاث محطات ، حتى تسير في الشارع لعل الأرصاد الجوية تصدق ويتساقط المطر، فهى تحب السير تحت المطر ترفع وجهها الأبيض الخالى تماما من المساحيق ،لتغسلة بقطرات المطر وبرغم أن المطر يبلل ثيابها ويلوثها وأحيانا يلطخها بالطين إلا أن ذلك كان أكثر ما تحبه فى المطر، فهى على أتم استعداد أن تخلع حذائها غالي الثمن ،وجوربها الحريرى ،وتسير فى الشارع حافية القدمين ،تبلبط أقدامها في البرك التي تتجمع بها مياه الأمطار، ولكن أين المطر ،هاهى تسير لما يقرب من الساعة ولم تسقط قطرة مطر واحده، وهاهي الشمس تحرق وجهها وكأنها تخرج لسانها لأسماء لتغيظها ،والأكثر من ذلك أن السماء خالية من الغيوم وهاهى أسماء ترفع رأسها للسماء معاتبة .

كانت أسماء فى الثلاثين من عمرها بيضاء، البشرة سوداء الشعر شعرها طويل وكثيف ،به كثير من التجعيدات من يرى شعرها المجعد ،يظنها تذهب لمصفف الشعر ليجعده هكذا ،عيناها واسعة لونها بنى مائل إلى الأصفر،أنفها دقيق وفمها صغير

ولأن أسماء من مواليد برج الجوزاء فهى تحب الشئ وعكسه وتفعل الشئ ونقيضه، أحيانا تظنها ساذجة منطوية على نفسها بشكل يائس غارقة فى اللامبالاة بليدة لا أمل يرجى منها

وأحيانا تكون نشيطة صاخبة مفعمة بالأمل ،بدرجة تقترب من الجنون ،وكأن بندول مزاجها ينتقل دائما بين نقطتين ،نقطة التجمد ونقطة الإحتراق غضبا.

بدأالمطر يتساقط فجأة فسارت سعيدة مبتسمة ترفع رأسها للسماء شاكرة .

راح الناس يرمقونها باستغراب، تجاهلت نظراتهم وبدأت تجرى وتقفز والمطر يغرق شعرها الأسود المجعد.

توقفت بجانبها سيارة ونظر قائدها لها وهو يبتسم ساخرا قالت أسماء سمير انزل من السيارة واستمتع معى بالمطر ابتسم ونظر لرتل السيارات الذى تجمع خلف سيارته ، بدأت السيارات تطلق أبوقها فى غضب . وقال لها اركبي سأوصلك للمنزل، أنا أتمنى أن أنزل واسير مثلك . ولكن لا يوجد مكان لركن السيارة، نظرت له ورفعت كتفها ،ثم تركته

وسارت مبتعدة ،فمشي خلفها على مهل متجاهلا الأبواق خلفه .

ولكنها لم تعره أهتماما فتركها وانطلق بسيارته وهو يقول لم أكن أظنها مجنونة هكذا.

توقف سقوط المطر ،وتوقفت أسماء عن المشي ،لم تمطر سوى خمس دقائق فقط ،ولكنها كانت كافيه لجعلها تبتل تماما ،التاييرالرمادى الذى ترتديه صار لونه بنى وشعرها تبلل بالمطر فالتصق بوجهها ورقبتها رأت وجهها فى مرآة احدى السيارات، فتبدل مزاجها تماما، انتابها فجأة شعور بالتعب الشديد صارت منهكة وكأنها لم تكن تدرى أنها لو سارت على قدميها كل تلك المسافة لن تتعب. نظرت لسرب البشر السائر بجانبها رأت حالة اليأس والقنوط ترتسم على الوجوه ،وقالت فى نفسها نحن شعب يعمل ويتعب

كثيرا، وينجز قليلا . ومع ذلك يشعر بالرضا بهذا القليل من كل شئ ، نحن شعب يجب أن نتمرد على أنفسنا وواقعنا أولا

ركبت أول تاكسي مر بجانبها وأعطته العنوان ،وبدأت تفكر في مقالها الجديد أخرجت ورقة وقلم من حقيبتها وحاولت أن تسجل بعض الأفكار التى تتدافع فى رأسها كفقاعات الصابون تمتلأ بالهواء وتكبر ثم تخبو فجأة قبل أن تستطيع الإمساك بها

وما تلك الغيوم التي تملأ الأفق إلا أفكار ، خرجت من الرأس فلم تسعها الأرض على رحابتها، فصعدت إلي السماء

حاولت أن تمسك بعض الأفكار وتسطرها، ازعجتها شدة الضوضاء فلم تستطيع التركيز في الكتابة . وكانت أفكارها مضطربة مشوشة تحتاج للحظات من الصفاء والهدوء. حتى تستعيد نفسها وترتب أفكارها ،ولن يتم لها ذلك إلا إذا عادت إلى بيتها إلا أنها كتبت بعض الملاحظات لتستدرج بها الأفكار فيما بعد وتستعيدها فالأفكار مثل الأطفال التي يمكنك استدراجهم بقطعة من الحلوى سجلت أسماء بعض الملاحظات ثم انتبهت لوصول التاكسي لباب البيت

وقف التاكسي أمام البيت القديم المكون من خمس طوابق ، و الذي لا يتلائم أبدا مع العمارات المرتفعة التي بنيت عن يمينه ويساره نزلت مسرعة ، وحيت عم رضا البواب الذي منحها ابتسامة طيبة صعدت السلالم المنحنية القليلة حتى وصلت شقتها فى الدور الأول نزعت ورقة صفراء من أصيص نبات الظل الموجود أمام الباب هي تحب الزرع كثيرا، ولكنها لا تعرف كيف تعتني به وتترك ذلك كله لأمها ، فتحت الباب ونظرت لأمها القلقة.

وقالت ماما أسفة تأخرت

كانت نيفين تجلس بجانب أمها تلف شعرها على بكر وتربطه بإيشارب بلون السماء وترتدى روب أخضر تظهر أسفله بيجامتها القطيفة الخضراء فقد كانت نيفين تنزل من شقتها لزيارة أسماء وأمها بملابس البيت العادية، دون تكليف لأنهما يقيمان بمفردهما ونادرا ما يزورهم أحد.

وبرغم انهماك نيفين فى تناول طبق الأرز باللبن ،إلا أن أسماء تأكدت أنهما يدبران لها شيئا .

لم تكن أسماء تشبه أمها سوي في بشرتها البيضاء وأنفها الدقيق فقد ورثت ملامح والدها .

قالت نيفين بوجه متهلل حزرى فزرى مامتك عاملة إيه حلو النهارده .

قالت أسماء وهى تنظر إلى الطبق في يد نيفين ...أكيد رز بلبن واضح .

قالت نيفين أحلى حد فى الدنيا يعمل رز بلبن والله يا طنط

كانت معدة أسماء لا تهضم اللبن فقالت بفتور بالهنا والشفا كانت معدتها ضعيفه حساسة ربما بسبب الكآبة والتوتر الإجتماعي الذى تعاني منه.

قالت الأم بغضب أسماء لا تحب الأكل ولا تحب الطبخ

كانت أسماء مرهقة فأشاحت بوجهها عن أمها

حاولت نيفين التخفيف عن أسماء التي كانت تعاني كلما التقت بحالة من الحالات ، ولكن دائما كانت محاولاتها بالتخفيف عن أسماء تفشل وأحيانا تأتي بنتائج عكسية.

قالت نيفين :

- اكيد انت مرهقة يا أسماء من السجن إلي السرايا الصفرا كان الله في عونك ياحبيبتي أعانك الله علي عقلك .

اعتادت نيفين أن تحاول جذب إنتباه أم أسماء وكسب ودهالأسباب كانت أسماء تعرفها جيداً .

تنهدت الأم قائلة :

- أعانني الله أناعلي مثل هذه ا لبنت المتمردة التي لا تعرف قيمة نفسها ولا ترحم نفسها ولا ترحم أمها المريضة

ردت نيفين :

- عندك حق ياطنط ياأسماء ياحبيبتي عندك الصحافة الفنية.والأقسام

قاطعت أسماء ذلك الحوارالدائر :

- اسكتي ياأم مخ تخين صحافة فنية إيه !

كانت نيفين تتعجب من تحمل أسماء للنساء الضائعات أو الساكنات كتابها كما تحب أسماء تسميتهم

- ألا تشعرين بالخوف ابدا وإنت معهم؟

كانت الأم تخاف على ابنتها وينقبض قلبها لمجرد تخيل ابنتها تتعامل مع المجرمات والمريضات النفسيات

قالت أسماء بنفاذ صبر

- ياجماعة أنا صاحبة رسالة صاحبة هدف.

قالت الأم :

- هدف إيه وإنتِ هتغيري الكون.

إنتهت نيفين من طبق الأرزبلبن الذي ملأ فمها بالطعم الحلو وفتح بداخلها مشاعرالحنين لطعام الأمهات فكما كانت تقول دوما طعام الأمهات لا مثيل له وهو الطعام الذي حرمت منه دوما ثم نظرت إلي أم أسماء والإبتسامة تملأ محياها وقالت

- تسلم إيدك ياطنط أناكنت هموت من الجوع.

بألف هنا وشفا يابنتي قالت الأم بطيبة وسماحة

- أنا في الحمل آكل مثل الجمل ولذلك يحرص وائل كل ليلة إنه يعشيني فول تانك يخاف أن اكل إيده وهونائم

- كلي ياحبيبتي إنتِ بتأكلي لإثنين.

ثم ناولت نيفين طبقا ثانيا تناولت نيفين الطبق بفرحة جائع وجلست تتناوله علي مهل

قالت نيفين بنهم

- بيقولوا لوأكلت ببطء هرمونات الشبع تبدأ تعمل .

- أنا كنت مثلك يا نيفين كل حملي أكل ونوم.

- هي هكذا يأمي في حمل وبدون حمل .

- أنا يامفترية؟!

نيفين

كانت ذكريات أسماء ونيفين قد تشكلت وارتبطت منذ تفتحت عيناهما على الحياة فقرب منزل الست هدى خالة نيفين من منزل أسماء جعلهما يترددان على نفس المدرسة، ونفس النادى ونفس الحديقة، ونفس الجامعة ونفس الكلية، وإن اختلفت الأقسام فأسماء درست الصحافة ودرست نيفين علم النفس.

كان الجميع يعلم أن نيفين يتيمة تربيها خالتها. ولأن الثقة تقاس بقيمة السر الذي نأتمن الصديق عليه . كانت أسماء هى الوحيدة التى باحت لها نيفين بأنها لقيطة أخذتها الست هدى من الملجأ بعدما فقدت الأمل فى الإنجاب، واكتفت بها لتكون كل عائلتها حتى بعد رحيل زوجها.

بقيت نيفين معها حتى تزوجت وائل ، وعندما رحلت الست هدى منذ عامين تركت لها كل ما تملكه من أموال ومصوغات .

لم تصارح نيفين أى شخص بهذا السر سوى أسماء فى فترة الطفولة، عندما سألتها عن معنى كلمة لقيطة التى تناديها بها عمتها زكية شقيقة زوج خالتها .

سألت أسماء والدها عن معنى الكلمة فأخبرها أن اللقيط هو مجهول النسب ، وعندما أراد والدها أن يعرف لماذا تسأل هذا السؤال كذبت عليه وقالت أنها سمعت الكلمة في التليفزيون

وذهبت لصديقتها وانفردت بها واخبرتها بما سمعته من والدها .

كانت نيفين تذكر الأعوام الخمسة التى قضتها في الملجأ، وتذكر اليوم الذى جاءت فيه الست هدى وزوجها لإختيار طفلة ، فوقع الأختيارعليها لأنها تشبه الست هدي كثيرا، لكن ما حيرها هى كلمة لقيطة . وليست يتيمة فالجميع

يعلم أنها يتيمة والست هدى نفسها أعلنت ذلك للجميع ،أعلنت أنها بنت إحدى قريباتها

كانت هدى سيدة غنية من أسرة ارستقراطية تزوجت أكثر من مرة ولكنها لم تكن تنجب فاختارت سعد ابن أحد الفلاحين في عزبتها كان سعد ينظر إلى الست هدى وكأنها طبق من الطعام الشهي يتمنى إلتهامه كانت نظراته وقحة وجسمه أسمر قوي طويل القامة أكسبته الشمس قوة وصلابة ، عرضت هدي عليه الزواج وتعجبت من شعوره بالخجل، ولكنه وافق دون تفكير، فتزوجته الست هدي ونقلته معها إلى القاهرة ، وحاولت بكل الطرق أن تعلمه كيف يتحدث ويلبس ، ولكنها فشلت في ذلك فشلا ذريعا فهو لا يستعمل من أدوات المائدة سوى الملعقة التي يملأها بالطعام ويحشو بها فمه ويلبس الصديرى سراً تحت القميص

ولكنها تحملته لأنه منحها الحب والأمان والمتعة المتجددة كلما ضمهما الفراش.

حكت نيفين لأسماء كل شئ عن معاناتها ووحدتها في بيت الست هدى الباردة المتعالية ، وزوجها الجلف قليل الذوق ، عديم الحياء الذي يتجول في البيت بملابسه الداخلية ويدخل حجرتها دون أن يطرق الباب ويتلصص عليها ولولا خوفه من زوجته لتحرش بها لكنه كان يخشى أن تطلقه هدى وتعيده ليعمل أجيرا في الحقل .

لم يكن لنيفين الحق فى أى شئ ، ولا تستطيع أن تطلب أى شئ كان وجودها فى البيت كديكور، فهي على الأقل مثل لاسي الكلبة وتوفى الببغاء، حتى المربية والخادمتان لم يعتبراها ابدًا صاحبة البيت ، فى السنوات الأخيرة وبعد وفاة سعد أصيبت الست هدى بالسكر والضغط ، فبدأت تتناول الطعام

النباتي الخالى من السكر والملح ، وأجبرت نيفين أن تتبع تلك الحمية القاسية، لذلك كانت تستمتع بزيارة أسماء، والإغتراف من طعام أمها الشهي ، وكانت الست هدى أيضا تختار لها ملابسها وليس من حقها الإعتراض، المرات القليلة التى تمردت فيها هددتها هدى بالطرد من البيت وإعادتها للملجأ ، فما كان منها إلا أن هدأت ، فمدت لها هدي يدها لتقبلها ثم تضعها على جبهتها ، فى خضوع وذلة وانكسار، عندما كانت نيفين تبوح بمعاناتها لأسماء، وتصف آلامها المكبوته كانت أسماء تبكى من أجلها.

عندما كبرت نيفين قليلا، كانت تتردد على الملجأ، وتحاول البحث عن أهلها، وتسأل دوما إذا كان هناك من سأل عنها، فلقد عادت بعض الأمهات وسألن عمن تركن من أولاد وبنات ، وكم تمنت نيفين أن يأتي من يسأل عنها، تمنت أن تري أمها الحقيقة تعود للسؤال عنها، وقررت بينها وبين نفسها أن تسامحها فور رؤيتها بل إنها قد سامحتها من الأن، كما سامحت هدى على جفوتها وغلظتها معها، فقد تمتعت في بيتها بأشياء كثيرة كانت ستحرم منها لو بقيت في الملجأ.

كان إحساسها أنها بلا حقوق يجعلها تبدو منكمشة وحزينة، مثل قطة ضعيفة تركت خارج البيت في ليلة ممطرة.

حفظت أسماء السر ولم تبح به حتى بينها وبين نفسها، فقد كان حبها لأهلها يجعلها تعلم كم تعاني صديقتها دون أهل حقيقيين، وكان هذا السر هو ما جعل العلاقة بينها وبين نيفين قوية هكذا .

فى الجامعة تعرفت نيفين إلى وائل شقيق صديقتها سمروأحبته من أول نظرة ، ولكن كان وائل يحب مروة بنت خالته عندما رأت نيفين مروة شعرت بإضطراب فى معدتها فمروة كانت رائعة الجمال، ببشرتها النقية ووجهها

المصقول وشعرها شديد السواد واللامع كفراء الثعلب، ظلت نيفين تحدق فيها وتتأمل ذلك الجمال الشبية بجمال الدمى، وشعرت باليأس فهذا الجمال لن يشيخ ابداً، ثم نظرت لوائل ووجدته ينظر إلى مروة، والإبتسامة الحالمة لا تفارق وجهه، لقد تأكدت أن مروة سلبت من وائل النوم والقلب والأنفاس، وطبعت بصمتها على قلبه وطبعت على قلب نيفين لعنة ستلاحقها للابد .

تركتهم نيفين وجرت لكاتمة أسرارها أسماء، ووصفت لها غريمتها وهى تشهق بالدموع، قالت أسماء الجمال ليس كل شئ.

أخرسي إنت لم ترينها، أنا متأكدة أننى لو كنت بجمال مروة ما تخللى عني أهلي.

لكنك جميلة بل من أكثر البنات جمالاً في الجامعة .

هذا رأيك لأنك صديقتي، ثم أنت لم تري الملابس التي ترتديها وشعرها وبشرتها ومشيتها التي تشبه مشية الباليرينا، مستحيل أن أجاريها في أي شئ .

ولكنك ألا تعلمين أن حب وائل لمروة دون أمل فمروة تطمع فى الثراء، وتحلم بالزواج من رجل غني، يحقق لها أحلامها، ألم تخبرك سمر بذلك .

تنهدت نيفين وانتظرت الأيام وفعلا حدث ما كانت تتمناه فلقد تركت مروة الجامعة، وتزوجت من رجل يكبرها بعشرين عامًا وسافرت معه للخليج ، وبقي وائل حزينا تقربت منه نيفين لمواساته، وكم كانت تعانى من حب وائل لمروة، ربما أكثر من معاناة وائل نفسه.

شعر وائل بمشاعر نيفين ناحيته فأحبها، حبا هادئًا خاليًا من اندفاع الحب الأول، وقررأن يتزوجها، كانت حيرة نيفين كبيرة كخوفها من فقد وائل إن هى

أخبرته بسرها، لكنها تشجعت وطلبت من وائل أن يرافقها إلى مكان مهم جدا في حياتها، كان الإضطراب والخوف يملأن قلبها وعقلها .

ذهب وائل معها دون تردد وفرح كثيرًا عند رؤيته للأطفال في الملجأ، وهم يتعلقون بنيفين ظن فى البداية أنها تتردد علي الملجأ بدافع الرحمة والشفقة، لكونها يتيمة مثلهم ولكنها أخبرته بالسر وبأنها لقيطة مجهولة النسب، صمت وائل فترة من الزمن كادت نيفين تموت وهي تنظر لوجهه، متسائلة ماذا سيكون رده عليها كانت ترتجف من الخوف، وقد جفت دموعها واصفر وجهها وكأنها ورقة شجرجافة يستطيع فركها بيده فتتلاشي، ضمها وائل لصدره، وقال لها إنه لن يتخلي عنها، فالذنب ليس ذنبها، ولم يعد ابدًا لذكر ذلك اليوم، ولم يخبر أحدًا بما سمعه منها .

بل لقد قوي هذا السر الرابطة بين وائل ونيفين كما فعل من قبل بين نيفين وأسماء، وكما فعلت أسماء لم يعد وائل إلى ذكر هذا الأمرأبدًا واحتفظ به بينه وبين جلده وتم الزفاف في موعده.

قالت أسماء لتخرج نيفين من شرودها، وتنزع نظرة الحزن التي تملأ عينها .

- فاكرة لما كنتِ تصممي أن نشتري حوواشي وكبدة من الشارع، وعندما أقول لك هذه لحمة حمير، تقولي والله حتى لو علق الرجل رأس الحمارعلي العربة، سأكل يعني سأكل!

ضحكت أسماء وأمها لكن نيفين هزت رأسها وعادت لطبق الأرزباللبن غيرعابئة بما يقولونه فتناولها للطعام، يطرد أحيانا أفكارها الحزينة.

كانت أم أسماء لاتفوت مناسبة حتى تذكرها أنها لابد أن تتزوج وتذكرها بعمرها الذي تجاوزالثلاثين، وتذكرها بشقيقاتها وجاراتها وصديقاتها اللاتي تزوجن ويعشن في سعادة وهناء ..

أعتقدت أسماء أن الحظ يعاندها، والقدريتآمرعليها، كانت تحاول أن تهرب دومًا من تلك المؤامرة ، لكن أمها تصرعلي أن تعيدها دومًا .

كم كانت تتمني أن تحيا دومًا في منطقة منزوعة الذاكرة فحقائب ذكرياتها مملوءة بالشجن .. لقد سكن الحزن قلبها ولم تكن تريده أن يتسرب إلي عقلها، تنسي أمها دائماً إنها خطبت ثلاث مرات.

شردت أسماء فلم تعى الحوارالدائر بين أمها ونيفين ولكنها قالت بحسم:

- ممكن نغيرالموضوع؟

أرادت إنهاء النقاش لإنها إذا تركتهم سيظلوا يتحدثون بلا إنقطاع في نفس الموضوع، موضوع زواجها، كم تمنت أن تتزوج من شخص تحبه تضحك معه وتتشاجر وتتعاتب وتسهر معه أمام التلفاز ليلا، ضبطت نفسها متلبسة في التفكيرفي الحب مرة أخرى، فقالت بحدة:

- سأنام الآن غدًا عندى زيارة لسجن القناطر.

صمتت أمهاعندما سمعت كلمة سجن القناطر، سقط قلبها في جب من الجزع واللهفة، ولكن لم يكن أمامها سوى الإستسلام.

- خللى بالك من نفسك يابنتي.

حاولت أن تخفف من تأثير نبرتها الحادة فقالت مازحة:

- خللي بالك من نفسك إنتِ ياماما لنيفين تأكل دراعك

فتحت أسماء حقيبة أوراقها الملقاة بإهمال فوق المقعد فوقع نظرها علي صورتها في المرآة .

مظهرها هادئ بدأت تتأمل عينيها الخاليتان من الكحل وبشرتها التي لم تعتد المساحيق يوما ... وثوبها الواسع الفضفاض.. لماذا ترتدي هذه الملابس

الواسعة حتي في البيت .. البيجامة الواسعة الفضفاضة لماذا لاتفرد شعرها كما تفعل الفتيات فوق كتفيها، هل سيأتي اليوم الذي ينزع رجلا ما ربطة شعرها ويلمس شعرها بحنان لينساب وتداعب يده الخصلات.

رجل يجردها من خوفها، ويمسح بحبه ذكرياتها الحزينة، وينشرأشعة الشمس في شتاء حياتها القاحلة.. ويجعل قلبها يتراقص في صدرها على وقع كلماته، يتغزل فيها فلا تغضب من كلمات الغزل، يعصرخصرها بيديه فيهتزعودها وتتساقط عناقيدها التي أثقلتها الثمارالحزينة .

أنها تحتاج إلى صدر قوي لتدفن وجهها فيه، تحتاج من يفهمها ويحبها.

تحتاج إلى رجل ينقذها من نفسها ويمنحها بيتا يمتلأ برائحة الطعام الذي تعده بيديها وهي تنتظروتترقب متي يتذوقه ويثني عليه، وأن يبدي رأيه في ثوبها وتسريحتها وكأن مصيرها مرهون بإعجابه ورضاه .

كل هذه الأفكارجاءتها من نظرتها الخاطفة للمرآة، فعبست وقالت ماهذه التفاهة هل عدت مراهقة مرة أخري.

جلست إلى مكتبها لتدوين بعض السطورمن محاضرالتحقيق عن السجينات التي ستقابلهم غدًا .. رفعت صوتها وهي تقرأ حتي يحميها صوتها من أفكارها.

مجرد قراءة المحاضرأصابتها بالغثيان:

" إمرأة تقتل زوجها وتدفنه في غرفة نومه بمساعدة عشيقها "

دماء ملطخةعلي حوائط تشققت من هول ما رأت، ونوافذ وأبواب أغلقها الخوف من العقاب، مهابة أن تتسرب الرائحة فينكشف المستور، وغرفة مظلمة لايدخلها النور ويسكنها الظلام، وذكريات مؤلمة لتلك الليلة البشعة التي راح ضحيتها زوج علي يد زوجته وعشيقها، عثرت قوات الأمن علي جثته عقب إنبعاث رائحة كريهة من الشقة وتقدم والد القتيل وشقيقته ببلاغ .

ترجع تفاصيل الواقعة بتلقي أجهزة الأمن بلاغًا من صاحب عقار، بإنبعاث رائحة كريهة من شقة نجله خالد ".

وعلي الفورإنتقل رجال المباحث إلي مكان الحادث، وتبين أن غرفة النوم هي مصدرالرائحة الكريهة، ومقام فيها مصطبة أسمنتية علي هيئة قبر، وعقب إستصداراذن النيابة تم هدم المصطبة، وعثربهاعلي جثة رجل.

شك ضباط المباحث في زوجة القتيل لتغيبها عن المنزل مدعية سفرها لدولة الإمارات، وتم القبض عليها وتدعي نجوى٣٧ عامًا، في البداية أنكرت نجوى أنها وراء الجريمة، ثم إنهمرت في حالة من البكاء، لتروي بعدها تفاصيل الجريمة التي تقشعرلها الأبدان.

بعد قليل عادت نيفين باكية وقد قررت قضاء الليلة عند أسماء لأن وائل سينام مع أولاده عند أمه .

وائل مرابط عند أمه منذ عودة مروة من الخارج .

حاولت أسماء التسرية عنها فلم تفلح، فقررت أن تقص عليها قصة نجوى الحالة التى ستزورها غدًا فى السجن.

ليتك تكونين معي يا نيفين لأستفيد من دراستك لعلم النفس فى تحليل شخصية نجوى،

-أخيرا أمنت بمواهبي فى التحليل النفسي .

لم تفلح معي ابدًا تلك المواهب.

وهل نسيتي تحليلى لشخصية أيمن خطيبك الأول

ذكرتها بأيمن خطيبها الأول وأول حبيب وأول رجل في حياتها حبيبها الأول ووجعها الأول.

بدأت تستعيد تفاصيل علاقتها به، كانت تذكر كيف نظرلها أول مرة؟ كيف التقت عيناها بعينيه؟

كانت نظراته العميقة تغمر وجهها كغيمة من العطر، الرحلة التي قطعتها نظراته لها أرهقت قلبها البكر، وبعثت في أطرافها دفئا، كم اربكتها نظراته التى لم ينقذها منها إلا دخول الدكتور لقاعة المحاضرات فحال بين نظراتهما زحام الطلاب وتدافعهم .

أخرجتها نيفين من صمتها وقالت بحنان

- أسماء مالك؟

ادعت أسماء النوم ولم ترد تعرفت على أيمن في الجامعة كان رئيس اتحاد الطلاب، برغم كثرة رسوبه وتأخره الدراسي، إلا أنه كان أشهر طلاب كلية الأداب، بوسامته وتهافت الفتيات عليه وثوريته أحيانا.

بعد تخرج أسماء تقدم لخطبتها وكذبت أسماء على أهلها وادعت أنه حاصل على الليسانس وقامت بشراء الشبكة من مالها الخاص حتى لا تحرجه.

لم يكن أحد يحبه سوي أسماء كان أهلها يرون تكبره وتعالية الناجمان عن إحساسه بالنقص، وصفته نيفين بالنرجسية.

- ومع ذلك كانت أسماء تصدقه وتحب عيوبه وترى إنه هوالشخص الوحيد القادر على إسعادها .

صمتت نيفين فقد أخفقت محاولتها في جعل أسماء تكره أيمن، وتمنت كما تمنى الجميع أن تكون أسماء على حق.

ولكن تمادي أيمن في غطرسته وتعاليه وتهربه من المسئولية أزعج أسماء فبدأت تطالبه بالإنضباط في الجامعة حتى يتخرج هذا العام.

ولكنه كان يتعمد استفزازها ويكره فرض وصايتها عليه.

لقد منحته الكثيروالكثيرمن حبها وحنانها، واهتمامها، منحته أكثرمما تستطيع امرأة أن تمنح رجل.

ولكن كان جزاء سنمارفي انتظارها.

لقد تخرج بتقدير جيد جدا فقط ليثبت لها أنه قادر على النجاح والتفوق، فرحت أسماء بل طارت من الفرحة عندما تخرج، وشعرت أنها نجحت في حصارها له وضغطها عليه فبدأت تمارس ضغوطًا أخرى، حتى يعمل، لكنه لم يكن يقبل أن يقاد، وأن توجه إليه النصائح كطفل صغير.

لذلك تركها يوم عقد القران، أصرعلى تحديد موعد مبكر لعقد القران قبل الزفاف بفترة كبيرة، وأصرعلى إقامة حفلة كبيرة قال إن عقدالقران هوالزواج . والإشهارأهم أركانه.

ظل يتحدث معهاعلى الهاتف، حتى تأكد من وصول المعازيم والمأذون للبيت، ثم أغلق هاتفه، كانت تلك الصدمة تفوق قدرتهاعلى الإحتمال.

أراد أن يتسبب لها في فضيحة، يكسرها ويفضحها ويفضح أهلها.

. لقد منحت عينيه فقط الكثير والكثيرلكن لم تكن النظرات تشبع نهمه، لم تكن تجعل الرجل بداخله يكتفي من المرأة، بداخلهاهربت منه كثيرا، هربت من شفتيه التي لم تكن تكتفي بالتجول على وجهها، ثم تركها .

حاولت أن تخرج من تلك الذكرى الكريهة لشخص أحببته وكرهته.

كانت تتعجب من نفسها، كيف تم أصطيادها كيف كانت بلهاء لهذه الدرجة رأت المصيدة وساعدته على تجهيزها وضعت بيدها الطعم ثم دخلتها بإرادة حرة،

حقا ماقاله (خوسية ريزال)

" لايوجد مستبدون حيث لا يوجد عبيد".

لكنهاعيناه اللتان تطلان من كل مكان تنظران أحيانا بشفقة وعطف وحنان وأحيانا تنظران بسخرية.... فتثيران حنينها له ولرائحة عطره.

قامت بفتح صندوق ذكرياتها مع أيمن.

أول رسالة أرسلها لها... صورهما التى أخفتها حتى لاتمزقها أمها لايزال أيمن يسكن أعماقها.

فتحت اللاب توب وكتبت على صفحتها على الفيسبوك

" أيها السيد! لاتتكبرلكوني خلقت من أحد ضلوعك .. ولاتنسى أنك خلقت من طين .. لاتتعالي عليَ لمجرد أن صوتك أعلى وحنجرتك أقوى .. ولاتنسي أن قدرتي على التحمل تفوق قدراتك .. حملتك إمرأة مثلي تسعة أشهر وأنا لا أعلم كيف أحتملت جنونك وغطرستك وتعاليك ثلاثة أعوام .. لكننى بعد رحيلك لا أعلم كيف سأحتمل الحياة بدونك.. أكتشفت كم أحبك يوم شعرت أني أكرهك!

نعم أكرهك وأحبك .. وأنفرمنك وأشتاقك!!!

أنا الآن كبريائي يلح علىَ حتى لاأذهب إليك.. فهلا أتيت .. ".

كانت نيفين تتقلب في الفراش وتفكر في حالها كانت تعاني في زواجها لكنها تعاني في صمت نعم إن زواجها مستمر منذ سبعة أعوام وحياتها هادئة ومستقرة إلا أن برود وائل معها يجعلها تصاب بغصة .

في البداية أحبت هي وائل تمتعا بالحب لم يكن وائل وقتها يفكر في نوع الطعام الذي تقدمه ولألون الثوب الذى ترتديه كان يراها بعين المحب.

عندما تتذكر أيام الخطوبة وشهرالعسل، تتدفق الدماء الحارة إلى وجنتها، كان وائل يحب الأطفال، ويرغب في تكوين أسرة كبيرة مستقرة، وكان شرطه

الوحيد ألاتعمل، ووافقت هى على ذلك بملء إرادتها، وتخلت من أجله عن حلمها في الحصول على الدكتوراة، وانجبت له طفل وطفلة والطفل الثالث في الطريق ولكن، بمرورالوقت بدأ حبهما يخبو.

حاولت أن تنسي مابها، لم تكن تستطيع أن تحدث أسماء صديقتها، القريبة لقلبها عن شعورها المزمن بالإستياء من الزواج، فما عند أسماء من الإحباط يكفيها، كان وائل فتى أحلام صباها وشبابها، استطاع أن يحافظ على نفس المظهرالذى رأته عليه منذ عشرسنوات، أبيض البشرة جسمه رشيق ومتناسق وكأنه خرج للتومن حفل زفافهما، بينما هى قد تغيرشكلها، وزنها لم يزد كثيرًا لكن جسمها أصبح مترهلا، وانتفخت خدودها وكبرأنفها بسبب الحمل، من يراها يظن أنها تكبر وائل بعشرسنوات على الأقل.

فى يوم الجمعة، كانت درجة الحرارة منخفظة بشكل لم تعتده القاهرة من قبل، كانت أسماء تستمتع بلسعة البرد، وتكره ارتداء الملابس الثقيلة، إلا أن البرد جعلها ترتعش، حتي قبل أن تفتح عينيها.

كانت نيفين قد استيقظت مبكرًا كعادتها وصعدت إلى شقتها،

فيما أمها تدير مؤشر الراديو، حتى جاءهما صوت الشيخ عبدالباسط عبدالصمد، الذى تعشقه يقرأ الآيات الكريمة من سورة الرحمن.

شعرت أسماء بالراحة تغمرها، وتحملها بعيداً عن نفسها وعن مشاكلها فكيف تحزن أوتخاف أوتتألم ومعها الرحمن، وكيف تجحد به وبآياته؟ .

نجوى

فى الطريق إلى السجن أدار سائق الأتوبيس الآيات الكريمة من سورة الحديد ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِم وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَالْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ۝ ﴾.

إستبشرت خيرًا وشعرت أن يومها سيكون موفقًا إن شاء الله .

كان سمير زميلها الرسام مستغرقًا فى تأملاته المعتاده وكأنه ليس موجوداً ..

نادته :

- سميرمالك ؟

رد قائلاً :

- اسمعي القرآن أنا مُستغرق فى الأيات فعلاً تحسي إن الصورة كلها نور بيطفئ عتمة القلب .

نظرت للناس من حولها كانوا لاهين فى شئونهم الخاصة غرقت هى أيضًا فى تأملاتها حتى أخرجها سميرمنها بقوله :

- هييه رحتي فين؟ وصلنا.....

من ينظرإليهن لايستطيع أن يفرق بينهن.

المشهد واحد يرتدين الملابس البيضاء، إنهن نساء سجن القناطر، كنت متلهفة لمشاهدة هذا العالم الغريب الغامض والذي تنسج حوله الحكايات

والأساطير ولا تعرف عنه الكثير سوى ما يعرض في الأعمال الدرامية من وجهة نظر المؤلف والمخرج.

وبرغم ما يوحي به شكل مباني السجن البنية اللون ومعالمها التي غلبت علي كل المنطقة المحيطة به من صرامة، ذلك اللون الذي صبغ معظم مباني منطقة القناطربنفس اللون البني، السكنية منها والحكومية، لتشعركأنك دخلت حرم السجن منذ وطأت قدماك منطقة القناطرالخيرية الشهيرة.

لم تكن المقابلة كما توقعتها.

توقعت أن ترى إمرأة كسيرة حزينة لكنها وجدت العكس تمامًا وجه طيب يبتسم في هدوء .. حتى أنها شعرت نحوها بالألفة وربما شعرت نجوى أيضا بذلك فابتسمت لأسماء بابتسامة مرحبة و أظهرت سنيها الأماميتين البارزتين اللتان أكتستا باللون البرتقالى الشاحب، ربما من كثرة شرب الشاي والسجائر ناولتها اللفافة التي كانت قد أحضرتها لها وبها بعض الطعام والسجائر، كما نصحها رئيس التحريرحتى تفتح لها قلبها .. تناولت نجوى اللفافة بيد معمر جرب القحط والفاقة لم تكن نجوى مثل من عرفتهن أسماء من قبل، لم تكن تلك المرأة فتاة مدللة يومًا لم تولد وفي يدها الحلى وأدوات التجميل، أوعلى الأقل لم تعرف يدها الأقلام والأوراق مثل "أسماء" .

نجوى فى الثلاثينيات من عمرها، قصيرة القامة ممتلئة القوام سمراء عينيها بها آثار رمد قديم، وحب الشباب قد ترك بوجهها ندبًا كثيرة وبخدها أثرلجرح غائر.

سألتها عن الجرح في وجهها نظرت نحو سمير نظرة خاطفة ..

وقالت :

- دى تعويرة من المجحوم .

- المجحوم ده جوزك؟

- آه الله لايسامحه ولايغفرله .

أخرجت من جيبها سيجارة وقدمتها لسمير لكنه رد يدها بصمت ولم تقدمها لـ"أسماء" ثم أشعلتها قائلة :

- أناعمري ماشربت سجايرإلا في السجن .

نظرت لها أسماء متعجبة فقالت :

- في السجن يا أستاذة مفيش فلوس .. مبنتعاملش بيها .. بنتعامل لامؤاخذة بالسجاير.

وأنا باخد سجايرنظيرخدمتي لواحدة ست غنية وقوية دخلت السجن علشان قتلت جوزها.

كانت بداية مشجعة، وضعت أسماء أمامها جهازالتسجيل وقالت .

- كلميني يانجوى عن حياتك قبل ما تتجوزي.

كانت نجوى سمراء البشرة، قست الطبيعة الأنثوية عليها فمنحتها ملامح غليظة أنف كبير، وفم واسع وعيون ضيقة، لكنها كانت خفيفة الدم محبوبة من الجميع، تسعى دوما لرسم البسمة على وجه أمها المريضة، التي اتعب مرضها الجميع تقضي نجوى يومها فى أعمال المنزل منذ أخرجها والدها من المدرسة لتخدم أمها بعد زواج شقيقتها، عندما تراها وهي تعمل تظن أنها ستحيل هذا المنزل الخرب إلي قصر، وعندما تطهوالطعام النباتي العناصرمعظم الوقت تظن أن الرائحة المتصاعدة لخروف محمر، لكنها كانت تسعي بلا كلل لتجعل ما تصنعه جميلا طيب المذاق، حتي عندما دخلت أمها المستشفي لإجراء جراحة في القلب رافقت أمها المريضة، وكانت تقوم بمساعدة كل نزيلات العنبر تطعم هذه وتصحب الأخري لدورة المياه

وتسقى تلك حتي خرجت أمها من المستشفي وقد تعافت وبدأت دماء الحياة تعود إلى وجهها الشاحب، شعرت نجوى بالسعادة، ووفت ندرها بأن وزعت على الفقراء سندويتشات الفول النابت .

عندما ذهبت لزفاف صديقة طفولتها نوال بنت سيد بائع الكشري كان الأمل يتقافز في صدرها، هاهي إحدى فتيات الحارة اللاتي أقتربن من الثلاثين تتزوج، ربما يأتي الدورعليها لقد ألهبت ساق العروس قرصًا حتي تحصلها في ليلتها .

عندما عادت للبيت شعرت أن باب السماء فتح لها علي مصرعيه فها هوالعريس يطرق بابها لم يكن والدها سعيدًا وهويخبرها قالت في نفسها، ربما لاتعجبه هيئة العريس ووزنه الثقيل، لكنها راضية به، فهوأول خاطب يطرق بابها، وهي فرصة لن تعوض مرة أخري.

لكن شقيقتها هناء أخبرتها بسبب ضيق والدها، وحزن أمها، لقد كان العريس مرابيًا أقرض والدها مبلغا من المال الذي أنفقه على علاج أمها، وعندما أراد استعادة ماله، واجهته الحقيقة فعلم أن والد نجوى قد خدعه عندما رهن له المحل الذى باعه من قبل ليزوج بناته .

كان الحل الوحيد أمام خالد أن يسلم الكمبيالات إلي البوليس وبالتالي سيسجن والد نجوى، لكنه لن يستفيد شيئا من سجن هذاالعجوزالضعيف، وقد يموت في السجن فلايجد من يسدد ديونه بل السجن أفضل له سيجد فيه الطعام والملاذ الآمن .

لذلك طلب يد نجوى، مخبرًا والدها أنه لن يدفع مهرًا، ولن يقدم شبكة، وعلي والدها أن يفرش لها شقة ويشتري لها مائة جرام من الذهب، ويدفع حتى أجرة المأذون، ويكون بذلك قد سدد الدين بالمهروالشبكة .

وافقت نجوى هي ووالدها، فالبديل الوحيد كان أن يسجن والدها المسن المريض .

وهكذا زفت نجوى إلي خالد بعد أن كتب والدها علي نفسه شيكات وكمبيالات جديدة، لعشرة أشخاص ثمنًا للجهازوللأدوات الكهربائية وللمصاغ.

ليلة الزفاف كانت " ليلة زرقه " كما تصفها نجوى

ليلة دخلتنا رماني على السرير بهدومي .. صرخت خوفا على الفستان المستأجر،

فتركها حتي تخلعه، كان مبتدأ لايعلم شيئاً عن المرأة وجسدها، لم يقترب من امرأة ابدًا ، فكان كلأعمي أغضبه فشله معها ولكنه لم يخجل ولم يشعر بالذنب، كانت نجوى بالنسبة له جارية اشتراها بماله، لاحقوق لها بل عليها واجبات، يجب أن تؤديها، لذلك عندما رأها تنظرإليه، قال قومي سخنى لنا الأكل.

وظل يأكل بمفرده وهو يسب أمها بسبب صغرحجم ذكرالبط الذى طهته ووضعته في حلة الإتفاق، يأكل اللقمة ويقول ناس جعانين! ..

كانت نجوى جائعة، لكنها لم تتجرأ أن تمد يدها، حتى ينتهى هو ويذهب للنوم.

كان خالد يعمل بوابًا فى دولة الإمارات، لذلك سافربمجرد إنتهاء إجازته وسلم نجوى لأهله لتخدمهم، وكانت نجوى قد تأكدت من حملها، ولاتزال تحلم أن تسافرمع خالد، ربما إذا سافرت معه يعاملها معاملة جيدة، حتي أنها أغرته بأنها ستعمل معه وتساعده وستعمل أيضا في تنظيف المنازل، ولكنه رفض أن يصحبها معه.

في بيت خالد، تعرفت نجوى على شفيق ابن عمه، وزوج نجلاء شقيقته.
كان شفيق موظفًا محدود الدخل، لكنه كان طيب الخلق ساعد نجوى كثيرًا وكان يطيب خاطرها حتى تتحمل معاملة عمه وزوجته القاسية لها وظل يرعاها حتي وضعت طفلتها ووظفها كعاملة نظافة في المستشفي التي يعمل بها لأن خالدًا لم يكن يرسل لها أي نقود كانت العلاقة بين شفيق ونجوى، علاقة ود واحترام دامت لمدة ثلاثة أعوام، كان يرعاها ويحنوعليها، وأحيانا يشكو لها همه فقد كانت زوجته سليطة اللسان، سيئة العشرة حتى عاد خالد من السفر، وقد زاد ماله وزاد وزنه، وزاد إدمانه لذاته عاد خالد مطرودًا من عمله بسبب إهماله.

بعد عودته تعرف خالد على سيد العترة، تاجرالآثار الذى أخبره أنه يحتاج لممول لعمليات البحث عن الآثار.

قام خالد بالفعل بتمويل العملية التي تكلفت عشرة آلاف جنية فأعطاه سيد خمس أضعاف المبلغ، كمكسب من العملية الصغيرة، ثم صحبه لعملية أكبرستتكلف مائتا ألفًا من الجنيهات، هي كل ماعاد به خالد من السفر.

بالإضافة إلي ماكسبه من عمليته الأولى، أعطى خالد كل مامعه من مال لسيد بعد أن تأكد أن مكسبه فى تلك العملية لن يقل عن اثنان مليون جنيه.

كان خالد قد تعلم سرالمهنة من سيد العترة صديقه الذى علمه كل صغيرة وكبيرة، وقدمه للخفراء وللمرشدين،

لكن سيد تبخر في الهواء، بعد أن استخرجت الآثار المزورة من صحراء سقارة، وأعطى خالد بيده المال لسيد ليدفع الإكراميات للخفراء، ويعطي المرشد والدليل ماطلبه.

كان بين خالد وحلمه بالملايين ساعات قليلة كل ماعليه أن ينتظر قدوم الخواجة مع سيد. ليستلم البضاعة ويعطيهم أربعة مليون جنيه على الأقل هذاالمبلغ سيتقاسمه خالد وسيد، كان خالد يقنع سيد بضرورة مضاعفة المبلغ فالآثار تساوى عشرة ملايين وسيد يقنعه بأن القناعة والرضا سيجعلان الخواجة يشتري منهم فى المرات القادمة.

وأخيراً اقتنع سيد، فقرر أن يطلب من الخواجه ستة ملايين، ثم أعطي خالد زجاجة مياه غازية استيقظ خالد بعدها ليجد حرارة الشمس قد لفحت وجهه، ولم يجد سيد ولا الخواجة ولا الآثار ظل خالد يبحث أيامًا وشهورًا، لكنه لم يهتد لسيد، في تلك الأثناء لم يكن أمامه سوى نجوى وراتبها القليل لتنفقه على دخانه ومحاولات البحث عن سيد.

لم تكن نجوى تستطيع رفض طلبًا لخالد وإلا سيكون الضرب جزاءها والقتل مصيرها لقد تحول إلى وحش بعد أن خسركل شيئ، وبسبب ضربه لها كرهته.

ردت نجوى على السؤال الذى أرق أسماء طويلاً العقل أم القلب أتتزوج عن حب أم تنتظر الحب وإن لم يأتى لا تتزوج أم تتزوج ويأتى الحب بعدها أولا يأتى على الإطلاق.

قالت نجوى :

" قلت ضل راجل ولا ضل حيطة وأهي إتهدت الحيطة عليا قلت أتجوز وأتستر وأديني اتقضحت....."

في تلك الظروف تحول مابين نجوى وشفيق من احترام وود إلي حب لم تكن نجوى تشعر ناحيته إلا بالود والثقة والإمتنان، لمساعدته لها طوال ثلاثة أعوام، يوم أن حدثت الحادثة كانت مع شفيق على سطح البيت، تشكي له

همها كما اعتادت، لم تكن تستطيع أن تحكي لزوجته لأنها مثل أمها، دائمًا تضع اللوم عليها، وهما يتحدثان أمتدت يد شفيق لأول مرة لتمسح دمعة، سقطت على خد لم يعتد أن تلامسه إلا أصابعها فشعرت برعشة فتاة بكر، فوضع يده على كتفها وضمها لتهدأ وتطمئن فهدأت ولكنها لم تطمئن، كأن القدر لها بالمرصاد، رأتهم إحدى الجارات التى تنشر الملابس على سطوح بيتها، فرفعت صوتها وألقت عليهما التحية.

شعرت نجوى بالخوف، حاول شفيق طمأنتها، لكنها كانت تعلم لسان تلك الجارة، فقال لها شفيق خذي هذه الحبة وضعيها لخالد في كوب الشاي وسأتي لأتحدث معك بعد أن ينام.

تناول حالد الطعام وشرب الشاي ونام، جاء شفيق واحتضنها وصارحها بحبه لها وأنه لولا أولاده لطلقها من خالد وتزوجها .

كانت كلماته كنقاط من الماء وضعت على لسان من أوشك على الموت عطشا، كانت لمساته لجسدها كرسام فرشاته مسحورة يرسم لها ملامح جديدة، وأحلام لم تتجرأ أن تحلم بها يومًا.

خافت من الفرحة ومن الناس ومن خالد خافت على ابنتها كان كل أملها أن يمنحها بعض الحب وبعض الحنان لم تكن شهوانية، لكنه حضنها فلم تعد تشعر بجسدها، وكأنه جسد امرأة أخرى، وكأنها تشاهد أمرأة أخرى وكأنها تحلم قالت لنفسها: دقائق وسأستيقظ لقد تربت طيلة عمرها على كلمة العيب والحلال والحرام وكانت تحافظ على شرفها وعفتها، لم تكن تحب أن يرى أحد جسدها.

أفاقت على مشهد رجل وامرأة يتعانقان يرتعشان من المتعة لم تكن تعلم أن هناك متعة مثل تلك وأن العلاقة هذه قد تكون بهذه الطريقة، ولكن هذا

ليس جسدها هذه المرأة بيضاء وجميلة، لقد تمتعت مرة من عمرها تمتعت بحنانه وحبه، لكن سرعان ما تحول الحلم إلى كابوس، استيقظ خالد من نومه فبسبب المخدرات لم يعد المنوم يؤثر به .

بنظرة واحدة فهم خالد ما حدث بين زوجته وشفيق، لكنه خاف من الفضيحة فأخرج شفيق من البيت وظل يضرب نجوى على وجهها ويركلها بقدمه.

كانت الأرض تهتز تحتها لقد هربت دماؤها وانتهت حياتها وضاعت ابنتها سمعت بكاء ابنتها فجرت ناحيتها وحملتها أخذ منها الطفلة واغلق عليها الحجرة وظل يضربها ويركلها كان شفيق أمام الباب يحاول أن يقنع خالد بفتح الباب، كان الجميع معتادون على رؤية هذا المشهد لذلك لم يتعجب أحد، خالد يضرب نجوى في الداخل وشفيق أمام الباب يقنعه أن يتركها ولم يكن أحد يستطيع التدخل إلا شفيق الذي يدخل كل مرة لينقذ نجوى من يد خالد، لكن هذه المرة الوضع مختلف كانت النيران تشتعل بجسد شفيق، لذلك ظل يضرب الباب حتى انفتح ودخل إلى الشقة ولكم خالد في وجهة، فقام خالد ورد له اللكمة وظل يضربان بعضهما حتى جاءت إحدى لكمات شفيق فأفقدت خالدًا توازنه وسقط على زجاج المنضدة، تركه شفيق وجلس ليستريح قليلا، ثم عندما لم يتحرك خالد قام شفيق ليرى ماذا أصابه فوجده قد فارق الحياة.

كانت الدماء قد تجمعت على الأرض وصنعت بركة صغيرة، حمل بعدها شفيق بعض الطوب والاسمنت وصنع قبرا لخالد بداخل حجرة نومه.

حملت نجوى ابنتها وخرجت من البيت في مشهد كانت حماتها قد اعتادته كان وجهها متورمًا، تحمل ابنتها بينما قدماها لا يحملانها، أعطت ابنتها

لحماتها وأوصتها عليها، ثم ذهبت إلي بيت شقيقتها وظلت عندها حتى قبض عليها هي وشفيق.

فى صباح اليوم التالي انطلقت أسماء مع سمير إلي سجن الرجال تجلس بجانبه فى السيارة يلتقط أنفها رائحته، - نفس رائحة أيمن- تسري الرعدة في جسدها، يبتسم سميرقائلا : بردانه؟.

يغلق الزجاج فتزداد الرائحة وتمتصها قطرة قطرة تشعر بالخوف ستجلس بعد قليل مع نوع أخر من الرجال ستجلس مع قاتل، كيف ستتحدث معه؟ و كيف تجلس؟.

كالعادة نسيت أن تأكل شيئًا، معدتها تؤلمها وسميرشارد الذهن كعادته، يستمع لأمرأة تغني بالإيطالية لم تفهم أسماء كلمة مما تقول .. ينظرلها ويبتسم ثم يدندن مع نغمات الأغنية .. رائحته وصوته وكلمات الأغنية غيرالمفهومة إبتسامته كل هذه الأشياء تمزق أعصابها..لا تعلم كيف غفلت عينها فتخيلت نفسها مصلوبة في فناء السجن بينما يلتف السجناء حولها بملابسهم الزرقاء ثم يبدأون في رجمها فتسمع صوت سمير يصرخ قائلا دعوها، إنها بلاخطيئة فيتجاهلها السجناء ويستمرون في رجمها فيتركها ويسيرمبتعدًا ..

تنزل من السيارة وتسرع في سيرها خلف سمير.. ستنسي كل شئ ستنغمس في عملها هكذا فكرت.. لم تعد تفكرفى شئ نسيت البرد الذي يصفع وجهها.

في طريقها لحجرة المأمور ينظرإليها سجين كهل ويبتسم بفم خالٍ من الأسنان ووجه مملوء بالندب، تشعربالخوف فتجري خلف سمير وتختبئ ورائه، لتحتمى به يشعربأضطرابها وخوفها، يبتسم لها ليطمئنها، أراد أن يمسك يدها وأرادت هي ذلك بشدة، لكنه كان يخشي الأقتراب منها.

تقفزالحقيقة واضحة أمام وجهها الحقيقة التى ترددها أمها ليل نهار" مهما بلغت قوة المرأة وثقافتها فهى تحتاج إلى رجل يقف بجانبها يحميها " لم تعلن أسماء أبدًا إنكارها لتلك الحقيقة ولكنها لاتقبل بأى رجل،

في حجرة المأمورجلسا تركهم المأمورلإنهاء مروره اليومى وأرسل من يحضرلهما شفيق.

كان شفيق فى الأربعين من عمره - أسمرالبشرة له أنف دقيق فتحتاه ضيقتان تحتهما شفتان رقيقتان شعره أبيض مجعد مهمل زاد إهماله من جماله

طويل القامة يقترب من المائة والتسعين سم، ونحيف وزنه حوالى ٥٠ كيلومن الجرامات، عندما أخبرته أنها زارت نجوي، إبتسم قائلاً :

- طمئنيني عليها ياأستاذة هل هى بخير؟

طمأنته عليها وناولته علبة السجائرلكنه اعتذرقائلا :

- أنا لا أدخن.

- لكن نجوى بتدخن!

- علمت ذلك للأسف برغم أن عمرها لم تشرب سجائرأتمنى ألا تتغير أكثر من ذلك.

- هل تحبها؟

قال بصدق مفعم بالمرارة:

- جدا يا أستاذة هى طيبة ومظلومة.

- تحبها لدرجة إنك تقتل من أجلها تقتل ابن عمك وشقيق زوجتك ؟!

- لم نفكرفى قتل ولا فى خيانة كنا نحاول أن نخفف عن بعض بكلمتين.

- وكيف تطور الموضوع ؟

- عندما عاد خالد من السفربدأت تخاف أن تكلمني .. وكانت توحشني وعندما كان يضربها كنت أتألم من أجلها.

- علمت أن زوجتك جميلة.

- قرد موالف ولاغزال مخالف ياست.

- يعني إيه؟

- يعني الجمال جمال الطبع والروح ونجلاء من هذه الناحية دميمة دلوعة ومغرورة، يمكن وجودنا أنا وأخوتي جعلهم هكذا، أنا أسأل نفسي كثيرًا: لو لم يأخذنا عمي ليربينا مع أولاده، هل كان سيضغط على خالد ونجلاء ويجعلهم يعتمدوا على أنفسهم، وكان وجد له عملا ولم يعتمد على مالنا، وزوجته كانت تركت الشجار مع الجيران وعاشت هى وعمي من مال حلال.

سأحكي لك حكاية في أحد الأيام جلس ملاك وشيطان على أحد التلال، جاء فلاح ومعه حماره وقام بربطه في أحد أشجارالحديقة ونام تحت ظل شجرة.

نزل الشيطان وقام بفك الحمار، فدخل الحمار الحديقة التي كان صاحبها قد زرعها خسًا وكان سعيدًا بنموه وكان يعتني به جاء الحمار وأكل الخس، خرج صاحب الحديقة ورأى الحمار قد أكل الخس، فغضب وقام بقتل الحمار عندما استيقظ صاحب الحمار رأى صاحب الحديقة قد قتل حماره، فقتل صاحب الحديقة، جاء أولاد صاحب الحديقة وقتلوا صاحب الحمار، وساد الهرج والمرج حتى صار القتلى عشرة رجال وحمار.

قال الملاك للشيطان: لقد قتلت عشرة رجال.

قال الشيطان: أنا لم أقتل أحد أنا فقط أطلقت الحمار.

- واضح إنك متعلم .

- أناحاصل على الثانويةالعامة وكان كل أملى أدخل الجامعة.

- ممكن تحكي لي حكايتك من البداية.

وجدت سميرقد وضع الكاميرا جانبًا وأخرج أوراقه وبدأ يرسم شفيقا.

كان شعرشفيق الأبيض بالكامل، يتناقض مع ملامح وجهه الشابة وابتسامته البريئة قد لفتت انتباه سمير..

كان شفيق يحاول أن يتحكم فى أعصابه حتى لا يقتل زوجته، كان في كثير من الليالى يحلم أنه يطعنها بسكين فى قلبها ويراها ممددة فى بركة من الدم ويمنحه ذلك ارتياحا و يملؤه بالحبور، لكنه كان يتلذذ بقتلها فى الحلم فقط، ولم يتخيل أن يقتل خالدًا أو أى شخص أخر كانت أمه من الأرياف سيدة طيبة ليس لها أقارب فى القاهرة وكانت تعمل حكيمة في القصرالعينى ظلت حزينة لوفاة زوجها "الصول محمد" حتى لحقت به بعد ثلاث سنوات، وتركت شفيق وزينب وفاطمة، وتركت لهم بيت ملك فى السيدة زينب كان ثلاثتهم بالمرحلة الابتدائية، فأخذهم منصور والد خالد ليقيموا معه، وباع البيت، ثم اشتري بيتًا اخرًا بنصف ثمن بيت السيدة زينب وكتب نصفه باسمه والنصف الأخر باسم شفيق وشقيقتيه، واستولى على المعاشات وتركهم فى البيت كأنهم خدم لزوجته وأولاده، كان دائمًا يكتفي بتوبيخ زوجته على سوء معاملتها لهم لكن الزوجة القاسية سليطة اللسان، لم يكن يردعها لوم ولا توبيخ، بل كانت تعايرهم دائما بأنها تربيهم ولم تتركهم للشارع، لم يكن أمام الأيتام إلا الصبر خوفا من بطش يدها ولسانها، اخرجت الفتاتان من المدرسة بعد الإعدادية ثم أمرت شفيق أن يكتفي بالثانوية العامة وقامت بتزويج البنات اللاتى وافقن علي الزواج ليتخلصن من جحيمها.

اختارت نجلاء زوجها الأول بنفسها وفرضته على والدها، ثم طلقت منه بعد

ستة اشهر وتزوجت شخصًا أخرًا طلقت منه بعد عامين وعندما سافر خالد إلى الإمارات للعمل كبواب كان من يراه وهو يرتدى يوم سفره البدلة اللبني، التى حشر جسده بها والكرافتة الحمراء، ويحمل الحقيبة السيمسونايت، يظنه يعمل هناك طبيبًا.

حاصر منصور شفيق وطلب منه أن يتزوج نجلاء، في البداية رفض ولكنه لم ينجو من حصار نجلاء له،

بعد الزواج بأيام قليلة عادت إلى طبعها المستهتر فكر شفيق فى الطلاق لكنه لم يكن له مكان آخر يذهب إليه، كانت نجلاء جذابة طويلة القامة عريضة الخصر بعض الشئ لكن ساقيها جميلتين برغم حملها وولادتها أكثر من مرة إلا أن خصرها كان نحيلا.

كان شعرها فاحم السواد ناعمًا وكانت عيناها الواسعة مثل شعرها سوداوان شديدة الحيوية مكتنزة الشفتين،

لكن هذا الشكل يتناقض تناقضًا كليًا مع سلوكها، فقد كانت فظة عصبية سليطة اللسان، تعاير زوجها ليل نهار بفقره، وقلة حيلته.

قال شفيق

نجوى كانت رشيقة خفيفة تجوزت خالد بحسن نية وأمل كبيرأن تستطيع تغييره، لكنه تركها وسافرإلى الإمارات .. أغلق شقته وترك نجوي لتخدم أهله.

عملت نجوى عاملة نظافة في المستشفى التي كان يعمل بها شفيق وراتبها كان يكفيها هى وبنتها.

حتى عاد خالد ثم خسركل فلوسه بسبب الطمع،فبدأ يضرب نجوى ليأخذ راتبها القليل.

ومن هنا قربنا وكان الحب اللى جمعنا .

- وكان القتل؟!

- القتل جاء مفاجأة .

- لكن الغريب أنك ونجوى إتحكم عليكم خمسة عشر سنة فقط .

- صحيح لأنه قتل خطأ دفاع عن النفس ولا وجود لسلاح للجريمة رأسة إتخبطت فى إزازالكمودينو كما أنه كان يضرب نجوى.

وكل الشهود شهدوا بذلك ..

صمت قليلا ثم قال :

- قتل خطأ والله يا ست مفيش إصرار ولا ترصد للدفاع عن النفس لولا إننا أخفينا الجثة يمكن كنا أخدنا حكم اخف.

- تأثرت أسماء بشخصية شفيق وأرادت أن تكتب عنه كما صمم سمير على إتمام لوحته الحزينة.

إن القلوب الكسيرة تُخبئ كنوزًا وكما يختلط الذهب والمجوهرات القيمة بالصخور فإن الكنوزتتوارى بين الأنقاض.

في البيت إحتضنت أمها قائلة :

- موضوع جميل يا ماما هيكسرالدنيا إن شاء الله.

- ربنا يوفقك يابنتي لكن أنت بترهقي نفسك .

- هل تعلمي التقيت بمن في السجن اليوم ؟

- من؟

- دكتورطارق عبدالسلام.

- خطيبك الثاني ؟

- كان يعمل في مستشفى السجن ..

السجانة عندما سألتهاعنه قالت وهى تدارى فمها من الضحك :

" دكتورطارق راجل حنين وخصوصًا مع سجينات الأداب "

- طول عمره مُنفلت.

- فاكرة ليلة خطوبتكم عندما تركك وظل يرقص مع الراقصة.

- يومها قلت تحملي هو فرحان .

- لكن أنا لماعرفت حكاية سيرته وعينه الزائغة ومشيه البطال وافقتك على فسخ الخطوبة.

أنا لما بقابل الحالات إللي بقابلها بحمد ربنا إني لم أخضع ولا أستسلم لكلامكم ورغبتكم، إنني استقر وأعيش الحياة أقصرمن إننا نعيشها بذل وهوان .

يابنتي النصيب غلاب.

هوده اللي بيأخرنا يا أمي النصيب والرضا والإبتعادعن المشاكل.

شعرت أن أمها حزينة فحاولت تغييردفة الكلام ..

- ماما أناهموت من الجوع .

- عاملالك الأكل إللى بتحبيه... آه نيفين جاءت لك مرتين.

- كانت حماتها مريضة وستبقى عندها ؟

قامت الأم لتحضرالطعام وهى تقول.

- ذهبت وأحضرت أولادها!

- طيب سأكل وأخد حمام ثم أذهب للاطمئنان عليها .

- ليتك تنامي.

- سأنام ياماما لكن لما لأرى نيفين أولا لأنى لابد أقعد بالليل أبيض الموضوع.

جاءت نيفين ولأول مرة كانت رافضة لتناول الطعام كانت ذاهلة.

- مالك يا نيفين؟

- وائل سيضيع منى.

- ليه خيرهومريض؟

- لأ بعيد الشرعنه وائل بيحب.

- بيحب؟!

- نعم مروة إبنة خالته عادت من السفرغضبانه، وهومن يومها ملازم لبيت أمه كما أنها حبيبته الأولى.

- هذا الكلام كان منذ سنوات وأنتم تزوجتوا وانجبتم وهي تزوجت.

- لكن لم تنجب وعلى خلاف دائم مع زوجها بسبب الإنجاب وأخيرًا رجعت غضبانه.

- طيب ووائل ماله!!

- كيف ماله! ألا ترين كيف ينظر إلها ؟

وائل لا يزال يحبها .. تخيلى لأول مرة أشعر أن حماتي متعاطفة معي .. المشكلة في سمرأخته تحاول أن تقربه من مروة.

- أكيد كل ذلك أوهام في دماغك.

- لا ليست أوهام، مروة مُصرة على الطلاق ووائل يشجعها.

- وإنت ماذا ستفعلين؟

- أنا لجأت لأقصى درجات ضبط النفس، انسحبت ورجعت بيتي بهدوء .. وجودنا ثلاثتنا في مكان واحد معناه إن وائل سيبدأ يقارن بيني وبينها. وطبعًا

أنا لا أُقارن بمروة الجميلة الدلوعة التي تحافظ على جمالها وليس لديها طفلين تاعبينها ليل نهار.

أعتقد أن أولادك نقطة تفوق تحسب لصالحك

لم تهتم بكلام أسماء وأكملت جلدها لنفسها .. ولا وجهها مملوء بالكلف وجسمها مملوء بالسليولييت يدها لا تزال ناعمة لم تهترأ بالمنظفات.

- إنتِ أيضا جميلة ورشيقة .

- لا تضحكي علي أنا متصالحة مع نفسي وأحب شكلي هكذا، لكن هل وائل يحبني كما أنا؟ .

- أول مرة أكتشف إنك عاقلة ..

عندما تعلمي أن وائل منذ عودتها يعود من الشغل على بيت أمه ولا يعود للبيت إلا للنوم وكثيرًا يبيت هناك .

- لكن هل ستتركيه لها ببساطة هكذا ؟؟؟

- لاطبعا هذا انسحاب تكتيكي عندي خطة وأنت ستساعديني على تنفيذها.

- هات خطتك يا روميل ؟

- لم تهتم للدعابة التي كنت أسماء تحاول بها تهدأتها.

قالت سأعتمد على مجال دراستي لعلم النفس وللأبراج وائل برج الثور.

تاني أبراج!!

اسمعي، وائل غيور جدًا يحب بيته وأولاده كما يحب الإمتلاك سأشغل تفكيره وأقوم بتحويل اتجاهه لناحية ثانية تمامًا .

- كيف؟ وما دوري أنا؟

- قالت بكل جدية ورزانة سأنزل من الغد معك للجريدة لا تدرب على

الصحافة.

- وبعدين؟

- إنتِ عارفة إنه رافض إني أشتغل .. وعندما رآني مره أتحدث مع سمير فهمي جن جنونه .. لذلك سندخل سمير في الخطة.

خطط فعلا كخطط الحرب وماذا ستفعلي إذا فهم وائل أن كل ذلك بسبب مروة ؟

لن يفهم ذلك لأن أنا لم أعاتبه أو أشعره أن موضوع مروة يثير قلقي واعتراضي.

لذلك سنبدأ الليلة ستتصلي بسمير فهمي هتطلبي منه أن يتصل بي هيطلب مني مشاركته في مقالات علم الأبراج وعلم النفس التي يرسمها، سيكون الاتصال في وجود وائل.

كررت خلفها

- في وجود وائل؟

- نعم وسأضطرب وأحرج واتكسف وأجعله يشعر بالغيرة والقلق.

- إنتِ تلعبين بالنار.

- النارولعت في بيتي وأنا أحاول أن أطفئها.

- طيب ممكن نأجل الموضوع الليلة، لإنني مرهقة جدًا وراجعة همدانة منذ عودتي من السجن ؟

قالت بلهجة صارمة لا تقبل النقاش الليلة يا أسماء.

خلاص اللى تشوفيه ياحفيظة.

لم تفهم نيفين الدعابة، كانت مشغولة الخاطر.

لماذا تلجأ المرأة للكيد والمكائد بدلا من المواجهة؟ هل لأنها الأضعف؟ أم لأنها الأذكي؟

الآيةالكريمة تقول ((إن كيدهن عظيم)) صحيح إن في حالة نيفين المواجهة معناها الخسارة فوائل سيتعامل مع الموضوع بعناد.

تركتها نيفين لشرودها وتأملاتها ونظرت من النافذة، ثم عادت قائلة بتوسل:

- وائل يركن سيارته تحت المنزل، بعد ربع ساعة تكوني عندي وستبقي عندي ربع ساعة فقط هذا كل ما أحتاجه منك يا أسماء.

- أنا خائفةعليكِ.

- إطمئني كل شئ مدروس .. ردود أفعاله أنا أعرفها جيدًا وسأسيطرعلى كل شئ.

تركت نيفين أسماء، وصعدت إلى شقتها، لم تكن هى نفسها نيفين صديقة العمر، كانت إنسانة مختلفة مُحاربة نبتت لها أظافر وأنياب.. تحاول أن تحمي بيتها وتدافع عن كيانها لكنها لجأت لعلمها ومجال تخصصها

حتي وإن كانت المرأة مثقفة، شديدة الحسن، تظل تخاف من أمرأة أخري ستأتي يومًا لتخطف رجلها، تراها فى كل مكان تكتشف وجودها فى نبرة صوت زوجها، تشتم رائحتها فى عرقه.

إن للغيرة قدرة مذهلة علي تسليط الضوء على الشخص الذى نغار عليه، وتجعلنا لا نري غيره لذلك أرادت نيفين قلب الأمر، ستجعل زوجها يغارعليها ويسلط عليها أضواءه الكاشفة، لتبقي كل النساء فى عتمة تامة وقد يستخدم قرون استشعاره وأنيابه ومخالبه إذا لزم الأمر.

إتصلت أسماء بسميرفهمي وأخبرته ببعض التفاصيل .. كان سميرشارد الذهن كعادته.

قالت أسماء لا أعلم لماذا لم أقع في غرام سميرفكثيرمن الفتيات أحببنه من النظرة الأولى فهو وسيم جداً بشعره البني - الكيرلي- نظارته وحظظاته ووسامته المفرطة والكاميرا التى لاتفارقه، نظرته اللاهية المستهترة ثراءه الملحوظ .. لكنى أعرفه من الداخل ..

كان سميركطفل يلهو بكل شئ .. لايأخذ أى شئ على محمل الجد إلاعمله كمصور وفنان .. أصابته حمى الفن صغيرًا فإستسلم لها.

يكره سميرأن يعيش حياة منظمة بدقة شديدة فالنوم والإستيقاظ بمواعيد محددة وتناول وجبات طعام منتظمة وأداءأعمال روتينة منظمة تسبب له الضجر .. فقد أعتاد أن يطير وحيدً بجموح وحرية .. كان لديه فضول شديد لكل ماهوجديد وغيرعادي وكان مراقبًا جيداً للطبيعة، كانت أحيانا تشعر بالإنبهار بشخصيته لكني أتخيل دومًا أني لومددت يدي لألمسه لقبضت يدي على الهواء فهو مصلوب مثلى على أعمدة أفكاره ومبادئه.

بعد صلاة العشاء نزلت أسماء لنيفين وجدت وائل يجلس أمام التليفزيون .. رحب بها.. كان وائل مختلف عن وائل الذي تعرفه.

أخبرته نيفين بالأمرفلم يعترض .. نظرناحية أسماء مستفهما فأخبرته عن إقتراح كتابة مقالات عن لغة الجسد والأبراج ..

الغريب أن وائل لم يعترض تركهم ودخل حجرته ليردعلى الهاتف

همست نيفين :

- أكيد مروة تكلمه مع أنه تركها منذ وقت قليل.

ثم خرج وقد إرتدى ملابس الخروج الرسمية كما تسميها نيفين .. بدلته التى يتركها لسهرات الأوبرا جاكت بليزرأسود اللون وبيبون .. رائحته زكمت أنوفهم.

- على فين؟؟ قالت أسماء بحنق

تعجب وائل

قامت نيفين ووقفت بجانب وائل وهمت بترتيب رابطة عنقه.

قال وائل :

- معزوم على سهرة.

قالت نيفين :

- وائل أنا أتركك تذهب للحفلات بمفردك أعلم أنك تتضايق يا حبيبي لكن ظروف الحمل والأولاد.

رد ببرود :

- عادي فقط كوني مرتاحة.

قبلهاعلى خدها .. هنا رن هاتف أسماء .

قالت بصوت مرتفع

- سميرفهمى يا نيفين يريد أن يحدثك أنت.

الو أهلا ياسميرلا معك نيفين تحدث معها.

لم يخرج وائل من البيت بل وقف متحفزًا وانتظرحتى أنهت نيفين المكالمة ..

كانت نيفين ترد بتحفظ .. وقدإصطبغ وجهها بألوان كثيرة لكنها عندما رأت وائل محدقًا بها ابتسمت إبتسامة خفيفة منهية المكالمة بصوت يفيض بالرقة والأنوثة.

- خلاص سنلتقي غدًا ونتحدث .. باى يا سمير.

وناولت أسماء الهاتف وناولت وائل جمرة إبتلعها بهدوء .. كانت كمدرب الثيران قد أمسكت الوشاح الأحمر وبدأت تلاعب ثورها الحبيب.

قال وائل :

- أنا خارج سلام .

مشي ناحية الباب ثم عاد قائلاً :

- أين ستتقابلون ولماذا؟

قالت نيفين وقد إلتمعت عينها بنشوة الفوز.

- في الجريدة ..

أكملت أسماء قائلة :

- حتى يتفقواعلى المقالات.

- آه هنتكلم عندما أعود.

- ألم توافق منذ قليل.

رفع صوته قائلا :

لا يا هانم ليس معني سكوتي أني أوافق أنا سأفكر .. خرج من الباب

سألته أسماء للمرة الثانية بغباءها المعهود :

- هل ستتأخر؟

نظرناحيتها متعجبًا .

- أنا ونيفين سوف نكتب قليلا.

لم يرد وخرج من البيت .. ضربت كفها بكف نيفين واحتضنتها فبدأت نيفين بالبكاء.

- خطتك ستنجح.

- تفتكري إني فرحانة لمجرد إن خطتي ستنجح أنا في منطقة أملاكه وهولايقبل أن أي ذكرغيره يقترب من أنثاه، وليس معني هذا أنه يحبني، لكنه

حب الإمتلاك. قالت أسماء:

وهل هويحب أن يمتلك إلا من يحبها.. تعرفى أسطورة برج الثور؟

- لا.

- في الأسطورة الإغريقية إن الإله جوبيتوركان شغوف بحب يوروبا ابنة فينيقيا الفريدة في بهاءها بين النساء، فقد كانت أجمل جميلات عصرها وقد إمتلأ قلب جوبيتور بحبها وبالشوق إليها حتى بات الكون في عينيه خاتمًا لإصبعها أو وردة أرجوانية في شعرها الليلي الساحر فقد تحول الشخص القوي القادرإلى شخص مغلوبًا بالرغبة واستحالت عظمته إلى ضعف ورقة .. إنه العشق وماذا يتبقي لديه إذا امتلك الكون وفقد حبيبته.

عصفت به الأحلام وتوهجت بالرغبات فلجأ للخيال حتى يراها فإتخذ شكل ثورأبيض ناصع ونزل مع القطيع فرأته يوروبا فتقدمت نحوالقطيع وأعجبها منظر الثورالأبيض فمررت يديها على شعره الناصع فانحني أمامها فركبته وأنطلق بها الى جزيرة كريت وإستعاد صورته الأولى.

معنى ذلك أنه يحبك وأنه رومانسي وعطوف ومستعد يضحي من أجل حبيبته.

هو بيحبك أنا متأكدة ومتأكدة إنه سيعود مبكرا هذه الليلة.. حاولي أن تحافظي على هدوئك ولا تنسي أنك حامل.

- لومرت هذه الازمة بسلام هعرف كيف أسيطرعليه

ماشي يا جنرال سلام ياهتلر ولا أنتِ من غيرشنب سلام أموسوليني-

لم تتجاوب مع الدعابة - كانت خائفة مرعوبة ربما تنجح خطتها ويعود لها ولكن قد تكون مروة قد أعدت خطة أكبر.

خرجت من الشقة وتركت نيفين وهي تحمد الله أنه ليس لديها زوج تخاف

عليه أوتشعربالغيرة إذا أقتربت منه أنثي غيرها، وتذكرت قصة الفقيرالذي ينام ملء جفونه لأنه لايملك شئ يطمع به اللصوص والغني الذي لاينام خوفاعلى أملاكه.

اتصل سميرمرة أخرى وهي على باب الشقة فأخبرته أنها ستحكى له التفاصيل غدًا..

فتحت أسماء الباب وهى تتثاءب ممنية نفسها بالنوم الهادئ المريح ولكنها لم تكن تدري أنها ليلة ليلاء .. فعِندما فتحت الباب وجدت أمامها سهام شقيقتها قد جاءت غضبانه.

سهام حامل ومعها طفلةعمرها عامان وطفلة عمرها تسعة أشهر وحقيبة مملوءة بالملابس وقلب مملوء بالأحزان.

- مالك يا سهام؟

لم ترد، لكنها إنفجرت في البكاء ..

- وكيف يتركك زوجك تأتي ببناتك في هذا الوقت من الليل وأنت في هذه الحالة ؟

ردت الأم :

- هومن أحضرها وقال لي علمي ابنتك كيف تعامل زوجها وتؤدي واجباتها الزوجية.

- يعني إيه يا ماما؟

ردت الأم بإنفعال:

- يعني أنا لم أحسن تربيها.. أكيد تعامله معاملة سيئة أومقصرة في حقوقه.

أناأتصل بعادل زوج شيرين وطارق زوج أمل وخالك لابد أن نعرف ماذا

حدث؟.

قالت سهام بقهروالمرارة تسيل مع حروفها:

- أنا والله يا ماما لم ثم أختنقت بدموعها فلم تكمل.

أحتضنتها أسماء وقالت

طيب يا أمي أجلي الموضوع هذا للصباح سهام تنام وترتاح وأنا أيضا أرتاح.

قالت الأم مستحيل إبنتي تنام غضبانة ليس لدي بنات تغضب.

حملت الأم الهاتف وأجرت أكثرمن مكالمة كان نتيجتها أن إمتلأت الشقة بمجموعة من رجال العائلة جاء الخال وعادل وطارق أزواج شقيقاتها ..

حملت أسماء الطفلتان ووضعتهم فى الفراش ودخلت الصالون لتجد سعيدًأ زوج سهام قد جاء أيضا وأنضم إلي المجلس كان يجلس كما الفرعون ويوجه حديثه للجميع قائلاً:

بيتى ياجماعة أصبح

عبارة عن مقلب زبالة الهانم يا إما نائمة يا إما مشغولة بالبنات وأنا ليس لي لاوجود ولا إعتبار .. كفاية إنها قاعدة فى البيت مرتاحة وأنا شقيان .

نظرت أسماء لسهام فوجدتها عبارة عن شبح، وجه أصفرالتصق جلده بعظامه، هالات سوداء تحت العينين وزنها لايكمل أربعين كيلو جلست منثنية على نفسها وكأنها إرتكبت ذنبًا عظيمًا.

رأت أسماء في عملها الصحفي محكومين يعترفون بجرائمهم ولكنها لم تري ندمًا ولا إنكسارًا كالذي رأته على وجه سهام.

قال الخال :

- ردي ياسهام .

كانت سهام تعاني مع زوجها المهمل المدلل، الذي يعاملها جيدًا، لكن طلباته لا تنتهي، فقد تعود أن يكون الطاووس الذكر في بيت مملوء بأمه وشقيقاته، أما سهام فقد أصابها الوهن والضعف نتيجة حملها المتكرر وولادتها ورعايتها لطفلتين والإهتمام بزوج مثل سعيد وكانت الطامة الكبرى عندم علم أن في بطنها فتاة ثالثة تغيرت معاملته لها.

- ظلل يكررکلامه ويشكو من إهمالها للبيت وله

تدخلت أسماء وقامت بتوبيخه فتبعها الجميع،

وهنا قررت الأم أن تبقى سهام عندها حتى تتحسن صحتها، فجن جنون سعيد هو لم يعتاد أن يبقي وحيدًا في البيت كما أن أمه لم تعد قادرة على خدمته، وظل يستحلف حماته وسهام أن تعود لبيته، لكن أم سهام كانت قد قررت واستخدمت سهام حقها في الصمت والتدلل لأول مرة.

دخل الجميع لينا موا، ووقفت أسماء وحدها في الشرفة رأت القمر يقف بعيدًا فى السماء وكأنه يحرسها، غيوم سوادء تتكاثف فيختفي القمرخلفها ثم يعاود الظهور وينظرإليها .. ترى هل يبتسم أم يبكي رغبة طفولية بالبكاء تنتابها، فهي وحيدة وخائفة اهبط أيها القمرمن سمائك ودعنى ألتصق بك

نظرت لسهام التي تنام وهي تحتضن بناتها تمنت أن تصبح أما ثم استجابت لنداء الفراش وتركت رأسها الثقيل يهبط على الوسادة ونامت ..

استيقظت فجرًا وصلت ثم جلست علي المكتب لكتابة المقال لكنها كانت متعبة لم تنم إلا ثلاث ساعات، فتركت كل شيئ ونامت حتي العاشرة لتستيقظ علي صوت سعيد.

جاء سعيد معتذرًا، وطلب من الأم أن تجد شغالة .. ووعد بإصلاح كل الأخطاء - ليلة واحدة بمفرده جعلته يندم- نظرت سهام لأسماء نظرة امتنان

وقالت أنا سأظل هنا حتى أشعر بالراحة.

فقال سعيد :

وأنا أيضا سأظل هنا معكم.

أشرقت ملامح سهام فاحتضنها زوجها ..

تركتهم أسماء لتردعلى اتصال نيفين قالت نيفين أن وائل عاد للبيت بعد أقل من ساعة، ولم يذهب للعمل بل سيرافقنا أناوأنت للجريدة ويقابل معنا سميرفهمى.

في الجريدة لم يبخل سميرعلى نيفين بكلماته التى تتأرجح بين الغزل والمجاملة.

عند خروجهم من مكتب سميرقال وائل :

- انا أرفض هذا الأمر تمًامًا .

ثم أمسك ذراع نيفين قائلاً:

- هنروح نتكلم فى البيت .

قالت نيفين :

- وشغلك؟

رد وائل :

- هطلب أجازة .

قالت ألن تذهب لتطمئن على أمك.

قال أمي بخير حياتنا الأن أهم.

قالت أسماء :

- لكن أنا أحتاج نيفين في موضوع مهم .

- مرة تانية يا حاجة، أنا محتاجها فى موضوع أهم .

- لابجد فى حالة عايزاها تقابلها ياوائل بصفتها دارسة علم نفس.

- حالة إيه راجل ولاست؟

- ست.

- هاتيلها الحالة للبيت، ثم أمسك بيد نيفين وانصرفوا معًا.

دخلت أسماء مكتب سمير وحكت له التفاصيل قال :

-أنا فهمت الموضوع كله لكن أتعجب أنها فكرت في أنا.

- هى عارفة نظراتك يا ذئب!

- ابتسم قائلا .

- أنا غلبان .

دخل رئيس التحرير من الباب وسأل عن المقال، أعطته تقرير زيارتها لشفيق وناوله سميرالرسم نظرإلى الرسم بإعجاب وقال:

- سميرفنان .

- ياسلام وأنا إيه؟

- متزعليش ياستى أنت محاورة بارعة ..

أكملى باقى السلسلة.

عملت فعلاً مجموعة مقابلات لكن كلهم مصرين على البراءة .. هدف المقالات إني أقابل نساء اعترفوا بأخطائهم.

نظرمستفهمًا فاخرجت بعض الأوراق وناولته

- الأولى مثلا ...

حكاية فتحيه .. وحكايات أخرى

بدأ رئيس التحريريقرأ بصوت مرتفع ..

"إبني وعشيقته ألقيابي في السجن لأقضي ٢٥ سنة، دون ذنب (منهم لله)، هكذا تبكي وتشكوإلي الله فتحية ذات الـ ٥٥ سنة، المتهمة بالقتل، وقد قضت من حكمها ١١ عاما، وتحكي عن مأساتها وتقول إن إبنها هو من ألقي بها داخل السجن،عندما قتل بنت عشيقته الصغيرة كيدًا في زوجها، فما كان من تلك العشيقة أن نسيت أمومتها وأختارت نفسها وعشيقها ولفقا لي تهمة قتل الفتاة دون أدني رحمة أوشفقة.

لاتكاد فتحية تتكلم حتي تنهارفي البكاء ولمرارتها علي وجودها داخل السجن ظلماً، وبرغم وجودها ١١ عامًا داخل السجن لم تتأقلم عليه كما نشاهد في الأعمال الدرامية، لكنها لاتطيقه وتتمني الخروج، ولم تجف دموعها منذ أحدعشرعامًا كما قالت، " إنها تتمني من الله الموت أفضل لها من هذا الواقع الأليم الذي تعيش فيه "

ناولت أسماء رئيس التحرير ورقة أخرى ..

طمعاً في البيت...

أما مني - ٣٢عامًا – فتقول: أخت زوجي لفقت لي التهمة .. فكان عقابها الرباني أن لحقت بي لتعيش معي داخل عنبرواحد.

أما تهمة مني فهي الإتجاربالمخدرات ومحكوم عليها بـ ٥ سنوات.

وتقول: أن أخت زوجى طمعت في الاستيلاء علي بيتى وتسببت ظلمًا في حبسي وحبس زوجي الذي هوشقيقها، والذي حكم عليه بـ ١٥سنة.

وعند محاولتها طرد أولادي الخمسة للإستيلاء علي منزلنا جاء انتقام الله ولحقت بي وتم الحكم عليها بـ ٦ سنوات.

وكلما أراها أمامي لا أقول سوي حسبي الله ونعم الوكيل،لأنها حرمت أولادي من وجودي بينهم، خصوصًا أن لدي بنتا مريضة مرضًا مزمنًا،

وتحلم مني بأن تنتهي تلك التجربة الأليمة سريعا وتخرج لأولادها ومساعدة زوجها في النقض والإستئناف ليخرج لهم لكي يتم لم شمل الأسرة من جديد.

مد يده فناولته ورقة ثالثة أوحكاية ثالثة ..

أطفال الزنزانة ..

" عند خروجي من السجن سأظل في بيتي ولن أخرج منه أبدا، هذا ما قالته نعمة - ٣٥عامًا – المتهمة بتزويرالأموال المحكوم عليها بـ ٧ سنوات لأنها فقدت إحساسها بالأمان من كل الناس.

وتحكي نعمة أنها تم توريطها في هذه القضية دون قصد، حيث ورطها صاحب العمل فكان يبعث بها لتجارآخرين بأظرف المال المزيف الذي يتاجربه، وقدتم القبض عليها متلبسة بهذه الأموال المزورة، وهي أم لأربعة أولاد يعيش إثنان منهم مع والدهم خارج السجن، وإثنان توءم أنجبتهم داخل السجن، ويعيشان معها الآن " .

" أما سهام المتهمة بالإتجاربالمخدرات والمحكوم عليها بـ ٦ سنوات،فتقول: وهي تتلفت من حولها وكأنها لم تصدق مايحدث لها، حيث قضت ٧ أشهرفقط من عقوبتها؟ إنهالاتعرف لماذاهي في السجن وتتساءل كيف ستقضي باقي سنين عقوبتها، حيث تم تلفيق التهمة لها كما تقول، ومنذ ذلك الوقت ضاع كل شئ من حولها فهجرها زوجها وأهلها ولايهون عليها إلا مُحمد إبنها الذي

أنجبته في السجن، وتقول إن مايؤرق عليها ليلها ونهارها هومصير محمد بعد سن الحضانة المقررة داخل السجن وذهابه إلي مؤسسة الرعاية لأطفال السجناء، وإحساسها بالمرارة الشديدة عندما سيعيش إبنها كالأيتام وهي علي قيد الحياة " .

" أما مروة - ٢٧ عاما – فهي أم، أما تهمتها فهي قتل رضيعها – عام ونصف العام – وحكم عليها بـ ٥ سنوات، لكنها تؤكد وتحلف أنهالم تقتله، وأن قاتل ابنها هو زوجها الثاني، فهوالذي قام بخنقه ولم تكن موجودة في البيت ساعتها، لأنه كان يكرهه ولايطيقه، وتتعجب متسائلة كيف هي في السجن والجاني حرطليق؟ وتقول: لم أفق من الصدمة سوي بعد وضع حملي الثاني في السجن، والذي أسميته كريم علي أسم ابني الذي قتل.

وتقول: أنهاطُلقت من هذاالمجرم وهي داخل السجن، وقطعت علاقتها به تماما، حتي إنه لايعرف شيئا عن ابنه، وتقول مروة أنها تحس بوحدة قاتلة وخوف شديد داخل السجن".

رشا وإبنتها ..

" أما رشا فقد دخلت السجن مع ابنتها الطفلة رقية لتقضي عقوبة سنة في قضية آداب،

وتقول إن زوجها محبوس أيضًا في نفس القضية، وتقول رشا إنها بريئة برغم التحقيقات وشهادة الشهود،لأنها إتُهمت بفتح شقتها في مدينة السلام لشبكة دعارة تديرها هي وزوجها،

ولقدجاءت هذه الشهادات من أصدقائها الذين تم القبض عليهن عندها، ولاتقول سوي حسبي الله ونعم الوكيل علي من ظلموها وأساءوالسمعتها،

ورشا أم لطفل آخر ١٣عاما، يعيش مع جدته من أبيه،لأنها وحيدة ووالداها متوفيان، وليس لها أي أحد غير زوجها التي تنتظربلهفة خروجها وخروجه،

وتقول إنها برغم قصرمدة عقوبتها بالنسبة للأخريات داخل السجن فإنها لاتستطيع التنفس وتشعربالإختناق باستمرارولاتستطيع التأقلم مع الأخريات والحياة داخل السجن ".

من الموت إلي السجن ..

" وسط دموعها الغزيرة وهي ذاهبة لرؤية أولادها في الزيارة، تقول نجاح - مطلقة ٣٢سنة – المتهمة في الإتجاربالمخدرات ومازالت علي ذمة التحقيق

أنها عندما رفضت الإرشاد عن جارها المسجل خطرتاجرالمخدرات، تم تلفيق تهمة حيازة الهيروين والذي تفاجأت به أمام تحقيقات النيابة،

وتقول: لولاخوفها من جارها وأهله أن يقتلوها هي ووالدها المريض أوأحد أبنائها الثلاثة إذا أرشدت عنهم، فكان جزاؤها هوإلقاؤها في السجن، والآن هي لا تعرف مصيرها ولامصيرأولادها الصغارالذين يعيشون في منطقة أبوالغيط الشهيرة بالمخدرات والسلاح،وأنها ملجأ لكل مجرم ومسجل خطر ".

- ماسبق كانت أقوال مَنّ قابلت مِنْ السجينات اللاتي أنكرن الإتهامات اللاتي وُجهت إليهن وعلي أساسها دخلن السجن..

وعلي جانب آخرهناك من يعترفن بذنوبهن وكانت لنامعهن أحاديث ..

" مثل حنان التي تعلمت من السجن كما تقول أكبردرس في حياتها، وهوعدم فعل أي شئ يغضب الله من أجل أي مخلوق وأي حاجة، كما كان السجن فرصة لها أن تقترب من الله وأن تمارس تعاليم الدين كماتعلمتها في دروس

الدين في جامع السجن وحنان متهمة بالإتجاربالمخدرات ومحكوم عليها بـ ٣ سنوات ولديها ٨ أبناء من زوجين وتقول:

أنها راضية بقضاء الله، فهي أخطأت عندما عملت لدي سيدة كانت تفرح بمبلغ الـ ٢٠٠٠ جنيه التي تحصل عليها كل أسبوع من هذه السيدة وهي في أمس الحاجة للإنفاق علي أبنائها الثمانية وزوجها شبه الكفيف، والذي تخلي عنها وتزوج عليها بعد حبسها وسوء معاملتها بإشاعته أنها مسجونة في قضية آداب وليس مخدرات بين جيرانها وأهها، حتي إن أولادها الستة الكبارتركوها ورجعوا إلي والدهم الذي رماهم من قبل ليعيشوامعه ومع زوجته أيضاً، أهلها لايسألون عنها وهي تعرف أنها بعد خروجها من السجن وتمضية عقوبتها لن تجد المأوي " .

تزويراسم ..

" تقول سحر - ٣٠سنة – المتهمة بالتزوير ومحكوم عليها بـ ٧ سنوات أنها أذنبت وأخطأت، لكن عقابها أشد بكثيرمن ذنبها، فهي لم تقتل أوتسرق أوتتاجر بالمخدرات لتستحق ٧ سنوات هي زورت في اسمها فقط عندماكانت صغيرة تزوجت ببطاقة غيربطاقتها،

لأنها لم تبلغ عامهاالـ ١٦، كما يقول القانون وقتها، ولم يدم هذاالزواج طويلاً، وعندما جاء نصيبها الثاني مع رجل طيب كما تقول وتزوجته بشكل رسمي وقانوني قام طليقها بالإبلاغ عنها وعن سابقة تزويرها للنيل منها، كما تم حبس زوجها الثاني هوالآخر ٧ سنوات بسبب أنه كتب في قسيمة زواجهما أنه لم يسبق لها الزواج " .

" أما أم أصالة الصعيدية من سوهاج فإنها تعترف فخورة بأخذ ثأرأخيها ممن قتله،لكنها تموت كل يوم بسبب إقامتها داخل جدران السجن وماتراه فيه يومياً،

خصوصا أنها ولدت رضيعتها بداخله، ولديها أبن يعيش مع أبيه خارج السجن، وتقول إنها ووالدتهاتم سجنهما بتهمة التحريض والمساعدة علي القتل وحكم عليهما بـ ٣ سنوات لكل منهما.

أما والدها القاتل فقد حكم عليه بـ ٥ سنوات، وتؤكد أن جريمتهما ليست مثارًا للشبهة أوالعار، فالثأرلديهما في

الصعيد لازم وضروري، ويتم معايرة من يتهاون في حقه، لذلك فإن زوجها يزورها باستمراروتري ابنها وأهلها بشكل دائم.

واللافت للنظرهن هؤلاء السجينات المتألقات المرتديات العبايات المستوردة والذهب والإكسسوارات والصابغات شعرهن بالألوان، والبارعات جدا في وضع الماكياج الكامل، واللاتي لم تفارقهن الابتسامة،

" ومنهن هويدا - ٢٥سنة – المتهمة بتعاطي الهيروين ومحكوم عليها بثلاث سنوات حيث تظل تلعب مع ابنتها الصغيرة شهد وتضحك مع زميلاتها بإستمرار، حيث تقول إن الماكياج والإهتمام بنفسها هما ما يهونان عليها هذا السجن والضحك مع الأخريات يجعلها تنسي همومها فقد تخلي زوجها عنها منذ دخلت السجن،

وتقول إن الفائدة الكبيرة هي أن السجن خلصها من الإدمان " .

" أما محاسن المتهمة بالإتجاربالمخدرات ومحكوم عليها بـ ٣ سنوات وإقتربت من نهايتها، فتقول: كلنا في السجن شكلنا حلو، ونهتم بأنفسنا،فليس السجن

نهاية الكون، فهوعقاب لازم وضروري علي مافعلنا من أخطاء، ثم سنعود لحياتنا من جديد، كماتقول وهي تضحك إنها تعلمت حرفا عديدة في السجن أهمها أعمال الخياطة وصناعة السجاد، ولدينا وقت كبيرللإهتمام بأنفسنا ولا أجد من يحاسبنا علي هذا التزيين، فنحن نستيقظ من الساعة ٧ وحتي الساعة الـ ٥ مساء، حيث تغلق علينا العنابر " .

" خلاص توبة وحرمت ولن أوقع علي أي إيصال أمانة مرة أخري حتي لوكان لأبي،هكذاتقول صفاء - ٢٢ سنة – وهي تزغرد وتضع علي وجهها المساحيق وترتدي العدسات اللاصقة، وتقول أناخارجة بكرة خلاص، وصفاء جاءت في تهمة وصل أمانة بـ ٣٠ ألف جنيه لطليقها، وقد حكم عليها بـ٣ سنوات،

لكن بعد تخفيف الحكم وصل لشهرين، وكان طليقها طامعًا في والدها، وحاول إبتزازه بذلك الإيصال، كما تقول إنه برغم عقوبتها البسيطة، لكنها تدعو الله أن يهون علي المسجونات لسنوات طويلة، فاليوم طويل، النهارلايمر، والليل كأنه سنوات " .

قال رئيس التحرير :

- الحالات دى هننشرها على حلقات ومعاكى سمير يرسم كل حالة .

- أنا مستعد وتحت أمركم ياريس .. قال سمير.

- تمام وأنا كمان مستعدة وهروح القناطر تانى .

بين جدران سجن القناطركثيرمن الحكايات التى لاتكشف عما يدوربداخله، قدرما تفضح أحوال المجتمع، الذى دفع بعدد من النساءلإرتكاب جرائم، أدت بهن لقاعة المحاكمات، ثم قضاء الليالى الطويلة فى حزن على مستقبلهن الذى ضاع، ومعه حلمهن فى أن يكنّ أمهات.

الفقرأحد الأسباب الرئيسية فى اندفاع المرأة لعالم الجريمة، خاصة إذا كانت

تمتلك قدرًا من الجمال والطموح الزائد،أفلام كثيرة صورت هذا المشهد، الفتاة التى تستخدم جسدها من أجل المال، لكن الواقع يبدو دائماً أشد قسوة من أى فيلم.

حكاية عبير"جميلة الجميلات"

عبيرعندما تراها تشعر أن أيامها مغزولة بخيوط من الحزن والفرح يتعاقبان عليها كما يتعاقب الليل والنهار القلق يعصر حناياها ويتقافز فى رأسها الصغير كما تتقافز الهوام فرحة بشهر أغسطس .. تطرق خاطرها ذكريات ليلة عرسها فتسترجعها ببطء لذيذ لكن الذكريات الحزينة لا تتركها فتهزها هزة شديدة فتنتابها رعدة فتقوم كالمصعوقة لتتوضأ وتريق ماء الطهرعلى بدنها، كيف طاوعتها نفسها أن تسمح لرجل غريب أن تتجول عيناه فى مفاتنها وأن تلمسها أناملة، بل تحت تأثيرالخمر سمحت بأكثر من ذلك .. تشتعل النيران فى جسدها فيحترق قلبها ألمًا تعاود الإغتسال والوضوء والصلاة ولا تترك يدها حبات المسبحة.

عمرها لا يتجاوز الـ٢٧ عامًا، لجمالها الذى لا يختلف عليه أحد، كانت محط أنظار زملائها فى كلية الآداب،

أما قصتها فمأساة،

تعرفت فى السنة الثانية على زميل لها، وتروى لى عبير قصتها مع هذا الزميل الذى دفعها لقفص الاتهام: " بعد حصولى على الثانوية العامة، تم توزيعى بمعرفة مكتب التنسيق على كلية الآداب جامعة القاهرة، فإضطررت للإقامة فى المدينة الجامعية، والإبتعاد عن أسرتى التى كانت فى حالة مالية سيئة ".

وكما يحدث فى الأفلام حدث فى الواقع، فقد تعرفت "عبير" على زميل لها، وتطورت العلاقة بينهما، حتى اصطحبها، للتعرف على والدته، فلفت نظرها تواضع منزله، على الرغم من أنه يبدوعلى تعاملاته المالية فى الجامعة الثراء، فبرر ذلك أنه يعمل فى مجال التجارة والسمسرة، وتعددت اللقاءات فى بيت عائلته، وتطور الأمرإلى ممارسة الجنس، وفض بكارتها باسم الحب.

وعلى عكس الأفلام لم يتهرب الحبيب من مسئوليته وتقدم للزواج منها، وبالفعل وافقت أسرتها، ولكن كان ذلك مقابل قدر من التنازلات البسيطة منها، بأن تجلس مع راغبى المتعة من العرب فى الشقق المفروشة، حتى يمكن الحصول على قدر من المال لإعداد منزل الزوجية.

فى بداية الأمر رفضت عبيرالفكرة، إلا أنها وافقت بعد إلحاح منه، وبعد إغداق الهدايا والملابس عليها، وبالفعل بدأ الحبيب النذل بإصطحاب عبيرإلى العديد من الشقق فى بعض الأحياء الراقية فى القاهرة، التى يتردد عليها العرب، وبعد أقل من عام أصبح معهما مبلغًا كبيرًا من المال تمكنا به من شراء سيارة وشقة فى حى راق، وقد تم كتابة هذه الممتلكات باسم الزوج، واستمرت عبير فى علاقتها الجنسية غير المشروعة لمدة ٣ سنوات، وفى إحدى المرات، قبضت عليها الشرطة فى حالة تلبس، ليصدر ضدها حكم بسنتين سجنا.

- أكل جسمى وشرفى أعلم انى خاطئة اتمنى أن أخرج من هنا على مكان أخر ليس به رجال يشبهون الذباب ينهشون لحمى .. أهلى تبرأو منى.

- طلبت الطلاق وطلقت منه فعلا وأول سابقة ستسقط من الملف إن شاء الله .. ليتنى أجد عملا شريفًا.

أنا حاصلة على ليسانس آداب .. هل سينسى الناس ما حدث كنت فى دوامة لكن لو خرجت من هنا ولم أجد من يقبلنى ..أخاف أن أضطر للعودة له مرة أخرى.

لكن ما أتعجب منه كيف يقبل رجل أن يسلم زوجتة بنفسه لرجل آخر

- مثل الخنزير .. الخنزير هو الحيوان الوحيد الذي لا يغار على أنثاه.

لاحظت الامتعاض الظاهرعلى ملامح سمير وكانت اللوحة التى رسمها لعبير وزوجها معبرة فعلاً عن هذا الإمتعاض .

- أنا أحلم فى ليال كثيرة بأني فى مكان مفروش بسجاد وكأنه مسجد ومعي مصحف أقرأ به القرآن الكريم.

- يعنى مصممة على التوبة!

- إن شاء الله كنت من قبل مثل الدبيحة لم أرى فى الدنيا غيرالخير والحب الذى عشته فى بيت أهلى إنقلب فجأة لكره وشر فى بيت زوجى.

قابلت الحالة الثانية فى نفس اليوم ..

فتاة من أسرة كثيرة العدد، لم يهتم الأب بشيء سوى الإنجاب، فجاء ترتيبها الرابع بين ثلاث بنات وأربعة ذكور، وهى تسكن فى إحدى الأحياء الشعبية الفقيرة، ولم تحصل سوى على الشهادة الابتدائية، ولم يكتف الأب بزوجته وأولاده الذين لا يستطيع الإنفاق عليهم، فتزوج من أمرأة أخرى، تاركًا مسئولية الأولاد لزوجته فإزدادت الأوضاع سوءًا، وإستمرت البنت فى هذا الوضع حتى بلغت الـ١٨ من عمرها، لتتزوج من صديق شقيقها الأكبر، وهو تاجر فاكهة.

ومضت الأيام على ما يرام، وبعد ثلاث سنوات إكتشفت أن زوجها ما هو إلا تاجر مخدرات، وأن شقيقها زميله فى هذه التجارة،

فى بداية الأمر رفضت كوثر قبول هذا الوضع، ولكن بعد فترة قصيرة تكيفت مع الوضع، بل أصبحت مساعدة له فى هذا النشاط، وبعد سنة ونصف السنة يسقط زوجها فى يد الشرطة، وتقضى المحكمة بحبسه خمسة أعوام، لتتحمل هى المسئولية نيابة عنه، وتتوسع فى النشاط ليشمل " الهيروين"، ولكن يتم ضبطها ومعها مجموعة من " التذاكر" كانت تقوم بترويجها، وألقى القبض عليها، وقدمت للمحاكمة التى قضت عليها بالسجن.

- كان سؤالى المعتاد ندمتى يا كوثر ؟

- طبعا يا ست .

- وناوية على إيه؟

نظرت ولم ترد فعلمت أنها ستعود مرة أخرى للتجارة

المحرمة ..إعتادت مص الدماء فلن تستطع الإبتعاد عن شربها.

السرقة على كبر..

ومن أغرب حكايات القناطر، قصة الأب الذى تعلم السرقة على كبر، من خلال تردد أشخاص يحترفون سرقة المنازل على الكشك الخاص به، فقد توطدت علاقته بهم، ليعرضوا عليه رغبتهم فى أن يشترك معهم فى سرقة بعض الشقق، فوافق، وبعد مرور سنوات، قرر أن يعمل بمفرده ثم بمساعدة ابنته "هويدا " وأخيها.

وتقول "هويدا ":

" استمرينا فى ممارسة هذا النشاط لعدة سنوات وبشكل منتظم، ولكن ذات مرة وجدوا خزينة فى إحدى الفيلات لدى قيامهم بسرقتها، قرر أبى ضرورة

الإستعانة بشخص يجيد فتح الخزينة، وبعد تفكيرعميق انتهى إلى أن الشخص الذى يصلح لذلك ابن عمتى وهو فى نفس الوقت زوجى بإعتباره حاصلا على دبلوم صنايع قسم حدادة، ويمكن أن يكون عنده فكرة فى كيفية فتح الخزن، وبالفعل تم تجنيده وأستمر فى نشاطه معنا.

وتضيف: " وبعد عدة سنوات من زواجى، قمنا بممارسة سرقة المساكن بشكل منفصل عن والدى وشقيقى، وأصبح لنا منطقة سكنية خاصة بنا ندرس أحوال المساكن فيها، وحينما نجد مسكنًا مناسبًا يصلح كضحية للسرقة نقوم بإعداد خطة جيدة لسرقته، وفى إحدى المرات قبضت علينا الشرطة، وقدمتنا للمحاكمة ومنها إلى هذا السجن".

- وناوية على إيه بعد الخروج ؟

- أنا اتختمت واتعلم عليه.

- يعنى إيه يعنى بقيت مشبوهة خلاص .. هنعيش إزاى ومنين ده بقي كارنا.

ابن الجيران .. السبب

ومن الحكايات التى نسمعها من إحدى السجينات، أن " نورا " كانت من أسرة فقيرة، وأجبرها والدها على الزواج من رجل كبير، ولم يستجب لرفضها،

" فتحت ضغط وتسلط الأب امتثلت للأمر وتم الزواج، وعاشت بصورة طبيعية لمدة سبع سنوات" ولكن بعد هذه الفترة، حدث تغير فى العلاقة الزوجية،

بعد أن دخلت فى علاقة عاطفية مع ابن الجيران، وقرر العشيق والزوجة التخلص من زوجها، حتى ترثه وتتزوج بمن تحب، فقررا قتله، ولكن انكشف أمرهما بعد إرتكاب الجريمة بقليل، وأجرى التحقيق معهما وإعترفا

بإرتكاب الجريمة وحكم عليهما بالأشغال الشاقة المؤبدة.

- تعرف يا سمير أن نورا مختلفة تمام عن نجوى .

- كيف؟

- نورا كانت حياتها مستقرة لمدة سبع سنوات زوجها طيب ويحبها وعندها بيت.

- لكن زوجها كان أكبر منها بكثير .

- وإفرض كان ممكن أن تطلق منه لا تقتله

يمكن رفض الطلاق .

- لا هى كانت تفكرهى وعشيقها في الميراث لذلك قتلته .. أنا تعبت من هذه المجموعة.

- أنا أيضا يومين وأسلمك الرسومات.

- لماذا ترسمهم ولم تصورهم؟

- أولاً لإننا اتفقنا نخفى معالم الشخصيات وشعرت بإهتمامك بكشف نفسيتهم، فقررت أرسمهم رسوم مُعبرة عن الحالة كلها وليس مجرد ملامح المتهمات

صفية

ذهبت أسماء بصحبة سميرفهمى إلى إحدى القرى القريبة من الجيزة .. ركبت مع سميرسيارته ، كانا صامتين طوال الطريق، وكأنهم مقبلين على أمرجلل، ففكرة عودة العبودية، تؤرق كل صاحب ضمير .. أن يبيع الأب ابنته مقابل المال شئ مؤلم.

عندما إقتربت السيارة كانت الشمس قد ملأت أشعتها الدنيا.

بجوارالبيت توجد حجرة الخبز .. كانت أم صفية جالسة أمام الفرن خرجت لهم مرحبة ثم دخلت الحجرة فدخلا خلفها فرحبت بهما مرةً أخرى .. دخل شعاع شمس من بين سيقان الذرة التى يتكون منها سقف الحجرة فانعكس على وجه المرأة ..ذكرهم بانعكاس شعاع الشمس على وجه الملك رمسيس.

كانت إمرأة ثقيلة الوزن لكنها لم تكن بدينة ترتدي جلباباً طويلاً فضفاضاً، قدماها الحافيتان عريضتان وقويتان كانت تتحرك بخفة أثناء عملها، وجهها مستديروشعرها الأشيب تخرج خصلاته من تحت الإيشارب الأسود الصغيرالذي ترتديه.

طريقتها في زم شفتيها تدل على أنها قوية مسيطرة تعرف جيداً أنها مركزالعائلة القوى إمرأة كهذه لوفقدت قوتها لتحطمت العائلة على الفور.

إلتقط سميرالعديد من الصورللمكان نادت أم صفية على ابنتها نجلاء.

فدخلت فتاة فى العشرين من عمرها .. قدمتها لهم الأم بفخرقائلة:

نجلاء دكتورة في الجامعة أخت صفية أصغرمنها على طول.

قالت نجلاء بخجل:

- أنا طالبة في كلية صيدلة الفرقة الثالثة.

- وصلي الضيوف لصفية يانجلاء.

ذهبا مع نجلاء إلي داخل البيت سارت معهم صامتة وحزينة، مروًا بأريكة يرقد فوقها والد صفية المريض كان غارقاً في النوم.

قالت نجلاء:

- أبي يحب أن ينام هنا وكأنه يحرس البيت.

ذكرها رقاد والدها برقاد أبي الهول ذلك الرابض على مرالزمان يحرس مصر لكنه صامتاً لايدافع عنها ولايوجهها أأصابه الصمم فلم يستمع لشكوى؟!

أم هوأبكم ولايستطيع أن يحكي ربما كثرة الشكاوي وكثرة المصائب أصابته بالإحباط.

في حجرة نظيفة بها ثلاث كنبات إستنبوللى وثلاجة إيديال أجلستهم نجلاء .. البيت مبنى من الحجرالاحمرلايزال على القالب دون محارة أودهان.

بعد قليل جاءت صفية تكاد تكون طفلة قصيرة القامة نحيلة الجسد لكن عندما علمت أسماء أنها فى الرابعة والعشرين من عمرها ذُهلت.

كانت بيضاء شاحبة كالموتى شفتها مشقوقة وأذنها مشقوقة شعرها محلوق دخلت فتاة صغيرة تشبه نجلاء تحمل صينية الشاى ووضعتها ونظرت لأختها برثاء ثم إنصرفت بهدوء.

جلست تمامًا كالشبح بلاحراك وقد خفضت رأسها وانحنت فتقوس ظهرها وكأنها مستغرقة فى التفكير لمست أسماء يدها لتتأكد أنهاعلى قيد الحياة فمدت عنقها الشبيه بعنق أبوقردان ثم نظرت فى وجهها وكأنها تريد أن تقول شيئا فخرج صوتها كالفحيح فابتسمت لها مشجعة لتتحدث فلوت فمها في ابتسامة حزينة وتوترت حنجرتها ثم عادت تفتح فمها وتكررنفس ا لصوت الشبيه بالفحيح ... وأخيرًا طاوعها لسانها وبدأت تحكي حكايتها وتنظرلتري تأثيركلماتهاعلى وجه أسماء ووجه سمير فلم تري سوي الشحوب والإشمئزاز.

اغفروالى إذا تجرأت وأزعجتكم بحكايتي .. فأنا أريد أن أحكي قصتي لقد وجدت العزاء في وجوه من يسمعونني، أشعربالراحة عندما اسمع تنهيداتهم وتأوهاتهم ورثائهم، عندما أكون وحدي لا أحتمل التفكيرفيما حدث لي، لا أطيق الذكريات، إن مجرد تخيل ما مربي شئ رهيب لايحتمل، لكن تلك

النظرات المشفقة لا تكفي والتعاطف مع حالتي لايكفي فهناك آلاف مثلي في سوق الرقيق.

فأنا مجرد نفس بشرية ،إنسانة ضئيلة .. عوملت طيلة عمري الذى أقترب من الرابعة والعشرين كحشرة بائسة لم أطلب من الحياة يومًا إلا مساحة صغيرة لأنام بها وأستطيع أن أمد قدمى فأجد فوقها غطاءً وسقفاً يحميني من حرالصيف وبرد الشتاء، وجدران تسترني.

فى الحقيقة كنت احتاج الغطاء فى الشتاء أكثرمن أي شيئ فى الحياة ، حين تدخل الريح الباردة من النافذة المكسورة فلا أشعربأطراف أصابعي وينتشرالبرد فى الحجرة فلا أعلم أيصعد البرد من الأرض أم يهبط من السماء، فأشد الغطاء بأطراف أصابع قدمي، فيضرب الهواء البارد وجهي وعنقي ثم تقترب مني نجلاء شقيقتي لتلتمس الدفء كنا نجد الدفء في حجرة الفرن هذه عندما تخبزأمي خبزالأسبوع فتظل الحجرة دافئة حتي أننا نركل الغطاء بأقدامنا، أنظرإلي أمي الممدة علي المصطبة بجوارأبي، وهى نائمة وقد تبددت كل طاقتها في عملها اليومي الشاق.

ليس الدفء فقط مطلبي، فقد كنت أتمني أن أجد طعامًا إذا استيقظت يسد جوعي، لم أفكريومًا فى طعام مميز، ولا ملابس مميزة، لكني حلمت بالكتب وتحصيل العلم، حلمت أن أكون طبيبة، ولكنى لم أكن أعلم أن حلمى محجوز لغيري، وبأن الفقراء لا يجوزلهم أن يحلموا. الفقراء يسرقون الأحلام فتفسد صحوهم وليلهم.

أنا فلاحة بنت فلاح أبي، لم يقرأ يومًا ولم يكتب، لكن أمي كانت تذهب للمدرسة حتي توفي والدها، فاضطرت للعمل فى بيت العمدة، حتى تساعد أمها الفقيرةعلي المعيشة .

وهناك التقت بجدتي أم أبي، كان حلم جدتي أن تزوج أمي الجميلة الوجه والجسم، تلك الفتاة العاقلة الحزينة، لابنها وحيدها إسماعيل الفقيرالبائس بقدمه المعاقة وقامته القصيرة، ولكن أمي التي إعتادت الصبرعلي الحرمان، والرضا بالقدر والقناعة بالقسمة والنصيب، وافقت علي الزواج، وفرحت باستبدال فراشها الأرضى المكون من كيس محشو بالقش بسرير نحاس له مرتبة من القطن، ولحاف من الستان الأخضروسحارة خشب لوضع الملابس، اشترتهم جدتي بتحويشة عمرها كما أهدت زوجة العمدة أمي (خادمتهاالمفضلة) طشت ومجموعة من الأوانى النحاسية وكانت فرحة أمي أكبر لأنها ستتوقف عن الخدمة في بيت العمدة، ورؤية صفية صديقتها بنت العمدة تتمتع بكل ماحرمت منه، وكان أشد ما يؤلمها أنها كانت أشطربنت في المدرسة. لكنه القدر والقسمة والنصيب، لو امتلكت آلة الزمن لعدت بها إلى الماضي وأفسدت زواج أمي من أبي حتى لا ينجبوني.

يوم زفافها رأت أمي بيتنا هذ االذي نسكنه لأول مرة يقف وحده على الطريق الزراعي كعجوز صغيرة الحجم محنية الرأس، أصبحت أمي سيدة البيت وظلت جدتي وأبي يذهبان للخدمة في بيت العمدة حتى ولدنا جميعًا وكلت جدتي وأصابها الكبر فبقيت في الدار حتي ماتت.

كان بيتنا مدهونًا بالجيرالأبيض محاط بالأشجارالخضراء الجميلة تبات فوقه طيورمغردة مثل الكروان وطيور صامتة مثل أبوقردان، ربما لوتحدث أبوقردان لوصف معاناة صديقه الفلاح المصري.

ألم يرافقه طيلة عمره ويعاونه في الزراعة، تمرالترعة أمام بيتنا مباشرة ، لكننا لم نكن نستمتع بالماء ولا بتلك الخضرة ولم نفهم جمال الطبيعة

وسحرها فقد كنا نغط في جهل كبير ربما لم أشعر بجمال بيتنا إلاعندما سافرت وتركته وشعرت أنني في مصر كنت أمتلك ثروة وفهمت أن ما تمتلكه اليد تزهده العين.

تذكرت ماحكاه لنا معلم العلوم عندما قال: مصرتشتهربالفقر فيها سمك البلطي أفقرأنواع الأسماك في القيمة الغذائية وأقلها سعرًا وليتهم تركوه كما خلقه الله ولكنهم وضعوه في مزارع وأطعموه الحيوانات الميتة، فأصبح فقيرًا و ملوثاء

ولدينا العصفورالمصري وأبوقردان ألا يشبه أبوقردان طائرالبجع ولكن قارنوا بين أبوقردان في صغرحجمه وبين البجعة الساحرة وقارنوا بين العصفورالمصري بصوته المزعج ولونه الكالح وبين الطيورالمغردة زاهية اللون مثل الوروار والشحرور وغيرها.

عندما أصبح عددنا خمسة ماتت جدتي بعد أن أقنعت العمدة أن يعطي أبي فدانين ليزرعهم مرابعة أي بمقابل ربع المحصول ويتحمل العمدة مصاريف الأرض كنا قد كبرنا أنا ونجلاء ومحمد نذهب للمدرسة ونعمل باليومية فى الحقول وتدخرأمي أجرتنا لشراء الكتب والملابس الخاصة بالمدرسة أما ملابس البيت ففي البيت نلبس الأسمال البالية لايهم فلن يرانا أحد، وكانت أمي تقوم بشراء الجبن والمش والبيض من الفلاحين ثم تركب القطار لتبيعهم في القاهرة وتعود بالمكسب القليل لتساعد أبي فى مصروفات البيت.

عشنا هكذا حتى أصبح عمري خمسة عشرعامًا، وحصلت على الإعدادية بمجموع ٩٥% وكان النقاش الدائربداخلي، ثم بيني وبين أمي وأشقائي هوهل ألتحق بالثانوي العام أم بإحدى المدارس الفنية.

لكن القدركان يقدرلي شيئًا آخرًا وترسم الحياة لي مصيدة تفتح بابها لتطبق

عليَ.

في الأعوام الثلاثة الأخيرة كلت عينا أبي من المياه البيضاء وفقد نظره تقريبًا ثم صارحنا الطبيب بضرورة إجراء جراحة وإلا فسيكون مصيره العمى.

ذهب أبي إلي قريبه عطية العوضي العائد من السعودية ليقترض منه مبلغًا لإجراء العملية وهومستعد ليبصم له على ما يشاء من إيصالات الأمانة.

ثم عاد من بيت عطية العوضي مطأطي الرأس، وقد تحول لون وجهه للأسود ناولته " قلة الماء " ليشرب، فنظرإلي نظرات كلها تأثر واستكانة، لم أكن أعلم أنه يخفي خلف تأثره هذا خبثا غادرا إلى أقصي حد.

سألته أمى مالك يا أبو صفية فلم يرد عليها وظل ينظر ناحيتى ويتأملنى، كأنه يرانى لأول مرة.

بعد قليل سمعنا صوت طرقات على الباب ثم دخل عم عطية وهويضحك بمرح ويثرثر بصخب، ويحمل شقيقتي هدى ويقرص نجلاء في خدها وقد استولي على إعجاب الجميع ، وظلت أمي تدعو له طويلا، فقد ظنت أنه جاء ليعطينا المال، لعلاج أبي فيضحك ويزداد صخبا، بينما يعاود أبي النظرلي بعينه الكليلة.

خرجنا أمام البيت وفرشنا حصيرة على الأرض وجلسنا وحملت أنا ونجلاء بعض الخداديات القطن ليجلس عليها أبي والضيف وحملت أمي براد الشاي على صينية من الألمونيوم، وعليها ثلاث أكواب كل كوب من نوع يختلف عن الأخر.

جلس الجميع في الهواء الطلق، كان الجو رائعا والهواء منعش وكأن النجوم تتراقص في السماء ثم قالت أمي بصوت خجل.

إن العملية ستتكلف ألفان من الجنيهات بمجرد جني المحصول سنردهم لك

على دايرمليم.

وضع عم عطية يده في سيالة جلبابه الأبيض وأعطي أمي رزمة كبيرة من المال وقال:

أعملي لزوجك العملية واشترى ثلاجة وفرش للبيت

ردت أمي يده الممدودة بالمال بفزع وقالت:

ومن أين نسدد هذا الدين الكبير؟

ولماذا تسددين يا أم محمد؟

كان أبي مطأطئ الرأس وكنا جميعًا صامتين ننصت للحوارالدائر بين أمي وعمي عطية، وننظرللمال الذي بيده لم نكن قد رأينا مبلغًا كبيرًا مثل هذا، ثم نرفع نظرنا لوجه عم عطية وكأنه ملاك الرحمة نزل من السماء ليعالج أبي ويحل جميع مشاكلنا.

قالت أمي بتعجب:

هل كل هذا المال لله ياحج عطية صدقة؟

لاطبعًا ليس لله وليس قرضًا إنه مهر صفية ألم يخبركم إسماعيل .

ضربت أمي صدرها بيدها قائلة بفزع:

مهرصفية بنتي؟ هل صفية خطبت ومن خطبها؟

الشيخ حمد أبو سليم، أنا أعمل عنده رجل غني وكبارة سيدفع مهر وشبكة لم تكونوا تحلمون بهم وسيحل كل المشاكل.

قاطعته أمي صارخة ومن قال لك إني سأبيع ابنتي لرجل عجوز.

شعرت بالخوف يغمرنى، وتأكدت أنني مقبلة على هوة عميقة لا قرار لها وبدأت أصواتهم تختلط فلم أعد أفهم ما يقولون.

أنا أكتم أنفاسي وألهث لمجرد التفكيرفى العرض فماذا سيحدث لو وافقت وتزوجت ذلك الكهل؟.

صمتت أمي، وظل أبي على صمته، وارتفع صوت عطية يحكى عن مظاهرالعزوالنعيم الذي سأحيا فيه، وعن الرخاء الذي ستتمتع به أسرتي واشقائي ودون وعي منهم نظروا إلي جميعًا نظرات كلها رجاء واستعطاف ولسان عطية لايكف عن الوصف ولكن تظل أمي كالصخرة لا تلين ولاتتحرك.

عندما اتذكر تلك الليلة اتمنى لوشل لسانى قبل أن ينطق بما نطق به بعد انصراف عم عطية جلست بجوارأمي الغاضبة ورحت أنظر للعروق النافرة في عنقها والتي لاتظهرإلاعندما تغضب وضعت رأسي على كتفها وقلت بصوت واهن: أمي أنا موافقة.

نظرت إلي بغضب وقالت: لا واللي خلق الخلق ماهيحصل أنت هتكملي تعليمك،

من أين يا أمي؟

أبي مريض واخوتى سيحتاجون كل شئ بدءً من الطعام والملابس والتعليم وأنت ترتاحين أنا فداكم يا أمي.

ستكونين خادمة هل تظني أن العجوز سيعتبرك زوجة له ستكونين ممرضة وخادمة.

خادمة خادمة، سأخدم كام سنة وأعود لأكمل تعليمى،

كان أبي صامتا، يقلب عينيه المريضتان بين وجه أمى ووجهي، لكنى صممت وأرسلت أخى محمد ليخبرعم عطية بموافقتنا بعد أن أجرى أبي العملية بعشرة أيام تم عقد القران دون أن يرانى العريس أرسل له عم عطية مجموعة من

الصور قام بالتقاطها لي فأرسل إلينا مبلغا من المال والتوكيل وتم الأمر.

ثم وقفت سيارة كبيرة أمام بيتنا، ولم ينزل الشيخ منها بل ذهبت أنا إليه بثوب الزفاف الأبيض والحنة الحمراء تصبغ كفي وقدمى والخوف والخجل يملأن قلبي الصغير.

وفي السيارة رأيته لأول مره كان ممتلئ الجسم، قوى البدن، اقترب منى وجلس يحدثني ويلاطفني، لكن فى القصرالذي يمتلكه في القاهرة كان كالوحش الكاسر، عندما صرخت كمم فمي، وعندما هربت منه ربطني في الفراش كان لقاءً عاصفاً وقبيحًا فقدت الوعى أوربما نمت لاأدرى وعندما استيقظت تطلعت حولي بدهشة وجدت ملابسي وملابسه قد تناثرت على الأرض وعلى المقاعد وقد عمت الفوضى والإضطراب المكان، كانت زجاجات الخمر والكؤس التي ظل يشربها طيلة الليلة ملقاه على المنضدة وعلى منضدة أخرى علب سجائر ومحفظة بها نقود كثيرة، لم أستوعب بدايةً أين أنا ولكن انتبهت عندما رأيته نائمًا كالثور وازددت رعبًا عندما تذكرت ما فعله بي أردت أن أصرخ لينقذنى الناس ولكننا فى حجرة داخل فيلا بعيدة عن الطريق ولاجيران لها كما أخبرنى عندما أتينا ليلا فمهما صرخت لن يسمعني أحد.

لكنني تسللت على أطراف أصابعى وخرجت إلى الصالة الواسعة لاحظت أن هناك نافذة مفتوحة فى آخرالصالة جعلت تيارات الهواء تجول كالأرواح فوق الأرض الخشبية وهى تتصادم وتدوم وتحرك الستائر وتتلوى فى جميع الإتجاهات كانت الدماء تلوث ملابسي من الأمام ومن الخلف وقد جفت بعض الدماء، على قدماى العارية وشعرت بالضعف يدب في جسدى لكني مشيت حتى النافذة المفتوحة كان الطريق يبدوكحفرة سوداء بلا قرار كفم

مفتوح تطل منه ظلمة باردة وصارمة.

كانت الحديقة عندما جئنا ليلا جميلة مضاءة أما الآن فقد صارت عميقة بلا حدود مقفرة كالقبر وقاسية

الرحمة يارب ماذا صنعت بنفسي؟ وكيف سأعود لأهلي؟ وماذا سأخبرهم؟ وماذا سنصنع لوطالبنا بما أعطاه لنا من المال؟ وكيف سنرد ما أخذه الطبيب وعالج به عين أبي؟

وتذكرت فرحة أخوتي بالملابس الجديدة، وتخيلت عطية يأخذها منهم كيف سأحرمهم منها ولكني لا أقدرعلي البقاء هنا، مع هذا الرجل، ولكني بقيت

كان إنسانا شاذًا أعجبه مظهري الصبياني لكن الطامة الكبري كانت بعد سفرنا هناك اكتشفت انني لست زوجته ولكن زوجة والده الذي تجاوزالثمانين وانهكته امراض الشيخوخة ولارغبة له فى النساء فأحضرني كخادمة لوالده ووالدته المسنين وخليلة له.

وأقنعنى أننى ملك يمين، اشترانى من أبي ودفع الثمن، عشت فى ذلك القصرأخدم العجوزين، ويغتصبني ابنهم الذى اقترب من الستين من وقت لآخر، ويوصد البيت من الخارج حتي لا أهرب.

عاد شقيقه خالد وابناه فيصل وحارث من أمريكا وشاركا والدهم فى جثماني الحزين كان الأخ أكثرشذوذًا من شقيقه كان ساديًا لايشعر بالمتعة حتي تغرقني الدماء لكني بدات اضربه وأهينه فيزيد استمتاعه.

باءت كل محاولات هروبي بالفشل وبدأت أعتاد الألم واستمتع بما يصنعونه بي.

حملت خمس مرات وتم إجراء عمليات إجهاض لي ولم يتركوني أذهب حتي بعد وفاة والدهم حتي تعرفت علي فرج السائق المصري الذي يحضرلنا

مؤونة البيت.

كان فرج يعمل في شركة حمد وشقيقته نوال تعمل مربية في بيت طبيب مصري، حكيت لفرج حكايتي وحكي فرج لنوال وحكت نوال للطبيب وزوجته فقرروا أن يقوموا بعملية لتهريبى.

خرجت ليلا للحديقة وأفرغت سلة القمامة الكبيرة وجلست بداخلها وقام فرج بحمل السلة ووضعها في السيارة دون أن يراه أحد حتى أصبحت فى منزل الطبيب المصري الذي عاملنى هو وزوجته ونوال بكل العطف والحنان لمدة ثلاثة أشهر.

وعندما حصل فرج علي إجازة من حمد، عدت معهم في حقيبة بداخل سيارة مفروشات أدخل الحقيبه ومعي زجاجة ماء وبعض الطعام وفي الاستراحات على الطريق انزل من السيارة لأدخل دورة المياة وأجلس قليلا ثم أعود للحقيبة.

وما إن اقتربنا من نقطة تفتيش فوجئت بهم يطلبون مني النزول والسير في الصحراء فى طريق مواز للسيارة، لنتجاوزنقطة التفتيش نزلت ومشيت في الظلام الطريق كله صخورشعرت أن الصخورتتقافزأمامى، وأن الأشواك تزحف تحت أقدامي، فجريت مثل المجنونة، الريح تضرب وجهي وقعت تهيأ لي أن هناك حيوانات تلعق وجهي.

في تلك اللحظة ولأول مرة أشعر بحقد مجنون مدمركانت النيران تملأ صدري، نارتريد أن تخرج لتحرق العالم الظالم .. ناديت الله .. لأول مرة أناديه وأقول يارب، لم أكن أصلي من قبل ولم أكن راضية عما يحدث لي.

كان الحقد يتحرك في ضلوعي كثعبان ضخم رأيت السيارة تتحرك بدأت أجري مرة أخرى حتى ألحق بهم التفت خلفى، فهيأ لى أن الجميع يطاردونني

أرى أشباحهم تموج خلفى .. أجري أسرع والنارتحرق بطني وقدمي الألم أشبه بثعبان يتلوي في بطني،

السيارة تسيرعلى مهل وأنوارنقطة التفتيش تضئ الصحراء وأنا أجري أحمل المهانة والعارعلى كتفي وأجري أحمل الهوان والذل في قلبي وأجري.

الرمال تمتد أمامي ولاتنتهي، توقفت السيارة وجاء فرج كنت قد سقطت على الأرض من الإعياء، لم أعد استطيع الحركة خيوط الألم تشدني إلى الأرض، حملني فرج ووضعني داخل السيارة.

بمجرد العودة إلى مصردخلت المستشفى

- كنتِ أعالج من الإكتئاب وجدتهم قد بنوا البيت بهذا الشكل وإلتحق أشقائي بالجامعة كان يصلهم مبلغًا شهريًا من أبوسليم.

لم يضع عمري على الأقل عندما رآني أبي سقط مشلولا.

- منذ أسبوعين أرسل أبوسليم سبعة الآف ريالا ميراثى من والده.

وأصابتها حالة من الهستيريا والضحك وظلت تردد

- شفتى حقانى قدإيه كان دايماً بيردد " اناعمرى ما بظلم حدا ".

جاءت أم صفية وقالت أن صفية تؤذي نفسها تجرح يدها ولا ترتاح حتى تنزف الدماء.

أعطت الأم لأسماء صورة لصفية وهى بملابس المدرسة، كانت فتاة ممتلئة بالأمل وبالحياة.

قبل خروجهم رأت أسماءوجه والد صفية، كان يسمع حديثهم ووجهه جامدًا تكسوه مسحة من الغضب والحزن ونظراته كلها إنكسار، كانت نظراته مفجوعة مملوءة بالحزن والحنان.

فى طريق العودة كان سميريقود السيارة بسرعة شيطانية تتشنج أنامله فوق عجلة القيادة عجلات السيارة كانت تئن ذعرًا من تلك السرعة.

كان سميرصامتاً ولكن صمته كان يهذى وكانت أسماء تفهم هذيان صمته كما يفهم هذيان صمتها.

في البيت وجدت نيفين تجلس مع أمها في انتظارعودتها رأيا مقدارالحزن والألم المرسومان علي وجهها فحاولت نيفين التخفيف عنها.

جيهـــــان

في صباح اليوم التالي، رأتها على مدخل الجريدة، كما تراها كل يوم .. سيدة في الثلاثينات من عمرها، رائعة الجمال والأناقة، تلبس نظارة شمس مستوردة، ومعطف إيطالى، وحذاء وحقيبة من الجلد الطبيعي وتجلس شاردة، في حالة من الذهول والتوحد.

غريقة لاهثة الأنفاس، مكروبة الصدر، مثقلة بالأحزان مُهدمة، مشتتة الفكرغاربة الذهن .. تشعرأنها بكت حتى جفت منها المآقي ودمت الأجفان، إذااقتربت منها أونظرت ناحيتها كأنها لاتراك، تشعرأنها إمرأة راقية ذات ذوق إنتقائي راق، كانت أسماءعلى العكس منها تماما، كلتيهما تقريبًا بنفس العمرمنتصف ا لثلاثينات.

أسماء تحب البساطة في كل شيء ولا ترتدي الثياب الغالية ولاالمجوهرات والإكسسوارات لم تقف يومًا أمام المرآة إلا لدقائق معدودة للمحافظة فقط على حسن الهندام والذوق العام.

لم ترَ نفسها يومًا كدمية جميلة، معدة للعرض في فترينة إحدي المحال ولم تكن يومًا تحاول لفت الأنظارلها، قال لها أستاذها المشرف على رسالة الماجستيريومًا :

- أنتِ مغرورة جدًا .

تعجبت من هذا القول؛

- أنا مغرورة !

قال:

- نعم المرأة التى تغرق نفسها بالزينة هى امرأة ليست واثقة من نفسها كلما

قلت الثقة زاد المكياج.

قالت:

- هى إذا ثقة وليست غرورًا.

قال:

- قليل من الغرور.. ولكنه يعطيك جاذبية محببة يجعلك متميزة.

هذه الكلمات أسعدتها جدًا.. نعم فكان يكفيها القليل من كل شىء القليل من الثقة والقليل من الغروروالقليل من المال والجمال والطعام والملابس، القليل من كل شيئ إلا المعرفة والنجاح، نهمة للمزيد منهما دومًا.

لكنها رأت من خلال عملها الصحفي آلاف من البشروكانت تعلم عندما ترى شخصًا ما إن كان سعيدًا أو يتألم .

أما تلك الملكة الجالسة أمام الجريدة فقد كانت تتألم كثيرًا لدرجة أنها اعتادت الألم.

وصلت إلى درجة من الذهول سرقتها من حياتها .. أغنيتها التى تدندنها بالعربية وأحيانًا نفس الكلمات تغنيها بالإنجليزية تجعلك تشعربرقيها وثقافتها .

عندما تقترب منها تري عجوزًا تجلس بجانبها تطعمها وتمشط لها شعرها .. تحدثها فلا تنظرناحيتك .. تغنى أغنية وهى شاردة لاتمل من تكرارها.

ماشيه معاك يا قمر

وإن طال عليه الليل

بتبع خطاك يا قمر

مشتاقة لك يا جميل

ياليل لوطال السفر

يحلى معاك السهر

باصة عليك يا قمر

وبسمع المواويل .

تركت بعض الفكة في علبة تضعها العجوز أمامها..

منظرها الراقي الحزين، كان يجعل الجميع يعطفون عليها ويعطونها المال.. فتأخذه العجوز وتضعه في كيس نقودها.

في مكتبها طلبت أسماء كوب النسكافيه المعتاد وجلست تفكرفيها، هى مثال حي لإمرأة جميلة مشردة، تخيلت رجلا ما دمرحياتها جعلها ملكة عشقها وأسكنها مملكة قلبه .. ثم فجأة بعد أن إطمأنت هذه الملكة لرعيتها وشعبها وسكنت قصرالحب، حولها لجارية، أذلها وأهانها، زرع البؤس بداخلها وسقاه بمياه الحزن، أطعمها لديدان الأرض تنهشها بعيونها، كيف يشوه إنسان ما إنسانًا آخرًا لهذه الدرجة؟!

صمتها حول أساء لفضولية تريد أن تعرف .. كانت كفراشة تطوف حول زهرة، ظللت تفكر واستأذنت رئيس التحرير فى بحث حالتها والكتابة عنها

قال إذا كنا سنتحدث عن نساء ضائعات فهي امرأة أصابها الضياع والتشرد،

قال رئيس التحرير

علمت أن سمير قد رسم لها لوحة

قالت أسماء

لكنى لم أجد ضالتي عنده فهو رسمها كما هي ولم يفهم حالتها.

أعطاني صورة شمسية للوحته المعبرة عن هذه المرأة ورفيقتها العجوز..

أشعرأن هذه العجوز ليست قريبتها ولاتنتمى إليها،

كانت العجوزكإمرأة تحمل طفلا تتسول به .. طفلا ليس ابنها ولا ينتمى أحدهما للآخر.

عادت إلى العجوز مرغمة وأعطتها مائة جنيه وأخذتهما إلى مكتبها.

وهناك طلبت منها أن تتحدث فلم تردعل .. هززتها نظرت ناحيتها لأول مرة ثم لم ترد.

وبدأت فى ترديد أغنيتها ..

شعرت أنها تعيش في الماضي وتستمع لأصوات قديمة أحيانا تلمح على شفتيها طيف ابتسامة.

سألت العجوز ..

قالت :

- مسكينة بيتها وقع ومات تحته زوجها وأولادها وأبوها وأمها ومن يومها وهى على هذه الحالة.

شعرت أن العجوز تكذب وتلفق أية قصة.

- ما إسمها ؟

- إسمها سعاد.

ناديتها سعاد فلم تجب ..

ومن أنت؟

- أنا الدادة المربية .. أولاد الحلال أحضروها لي.

- ولكن كيف يطاوعك قلبك .. تتسولين عليها !!

- وماذا أفعل ؟ الجوع كافر ..

حاولت أن آخذ الحقيبة من يدها فلم أستطع.

تذكرت حقيقة علمية أن المرأة لا تتخلى أبدًا عن حقيبة يدها..

أجري بحث عن ذلك تم إيهام بعض الطلاب والطالبات في إحدى الجامعات أن قاعة الدرس تحترق وتم إخراجهن بسرعة كبيرة من مخرج للطوارئ ..

إكتشف الباحث أن الشباب تركوا مامعهم أما الفتيات فخرجن يحملن حقائبهن ولم تترك واحدة حقيبتها.

شعرت أسماءأن العجوزتكذب وكل همها الحصول على المال فأرادت أغراءها..

- يمكنني تخصيص شقة لها من شقق المحافظة ومعاش شهري يكفيك ويكفيها كل المطلوب أن تعطيني بطاقتها وتحضري لي عنوان بيتها.

أنا لا أعلم العنوان لكن معي بطاقتها وناولتني البطاقة

الإسم : جيهان دويدار .

العمل : سكرتيرة تنفيذية لأكبرشركات الإستثمار.

إسم الزوج : مذكور وعنوان العمل.

تأكدت أن العجوز نصابة فأحضرت لها الأمن،

أخرجها الأمن من الجريدة نظرت ناحيتي وكانت غاضبة تصرخ وتهدد فسلمناها للشرطة وبمعاونة رئيس التحريرأدخلنا جيهان إحدى المصحات النفسية.

ثم بدأت البحث عن صاحبة الصورة على الإنترنت عن طريق اسم الشركة التي تعمل بها .. علمت أنها استقالت منذ شهرين.

ركبت سيارة الجريدة وذهبت إلى زوجها في حي العجوزة .. كانت تحاول تجميع

أجزاء اللغز.

حكى لها السائق عم حسين حكاية حي العجوزة

قال حي العجوزة أحد أحياء محافظة الجيزة يقع على شاطئ نهرالنيل بجوارالمهندسين ويحدها من الشرق فرع النيل الصغيرالذى يسمى النيل الأعمى.

سُمى حي العجوزة بهذاالإسم، نسبةً لنازلي هانم ابنة سليمان باشا الفرنساوي، مؤسس الجيش المصري في عهد محمد علي، وزوجة شريف باشا.

الذي تولى رئاسة الوزارة أربع مرات، والذي كان يمتلك ثلاثون فدانًا من أراضي طرح النهرفي منطقة العجوزة .. وكانت أمنيته بناء مسجد في ركن أرضه على النيل قرب كوبري الجلاء لكنه مات قبل تحقيق أمنيته.

فقامت أرملته نازلي هانم بتحقيق أمنيته وكانت تشرف على بناء المسجد بنفسها وكان عمرها قد تجاوزالتسعين عاماً.

مما جعل الأهالي يطلقون على المسجد اسم مسجد العجوزة وامتد الاسم ليشمل المنطقة كلها.. وقد أنجبت نازلي هانم بنت اسمها توفيقة تزوجت عبدالرحيم باشا صبري وهى أم الملكة نازلي أم الملك فاروق .. نازلى التى أثرت كثيرًا في تاريخ مصرالحديث.

قالت أسماء لهم حق يسموك موسوعة يا عم حسين

ابتسم وقال وقتي اقضيه في القراءة يا استاذة

تجاهل زوج جيهان أسماء تمامًا عندما سألته عن زوجته

رد باقتضاب لينهى حديثاً لم يبدأ بعد :

- زوجتي ماتت.

- جيهان لم تمت هي عندي.

- هى على الأقل ماتت بالنسبة لي.

ابنتها التي تشبهها بكت وسألت :

- ماما فين؟

- موجودة ياحبيبتي لكنها مريضة بعض الشيئ.

تعلقت الصغيرة بيدأسماء وهي تبكي ..

- خديني عندها Pleaze

- جاء والدها وجذبها من يدها بقسوة ..

صرخت الفتاة، فقام بهزها قائلاً :

- أمك ماتت .. ماتت

- my mother is live.

- but she leave you and run away for a nother guy.

بكت الفتاة .. كان بكاؤها يدمي قلب أسماء وسارت خلف والدها الجريح .. فعلمت أي الرجال يكون.

لا أعلم لماذا أشفقت عليه هوأيضا؟

أمام السيارة إحتضن ابنته وركبا معًا السيارة والفتاة عينيها تنادي وكأنما تصرخ ..

أغلق الخوف من والدها فمها فتبادلت مع أسماء لغة النظرات والتوسلات.

عرفت أسماء اسم مدرستها من الشعارعلى جاكيت المدرسة في اليوم الثاني ذهبت إلى مدرسة الفتاة، وطلبت مقابلتها.

ادعت أنها قريبتها وأرادت توديعها قبل سفرها

عندما رأتها من بعيد أقبلت بحماس كبيرجعل المشرفة تصدق أسماء فتركت الفتاة معها وانصرفت.

سألتها:

- ماما كانت عايشة فين؟

- I don't know any thing about my mother.

وأعطتها رقم صديقة أمها.

واحتضنتها قائلة:

Pleaze – يا طنط رجعي لي ماما.

قالت لها:

- إطمئني ياحبيبتي ماما هترجع لك إن شاء الله .

كانت الطفلة قد وصلت لأقصي درجات الحزن الدرجة التى لاتمنحك الفرصة للبكاء .

اتصلت بالسيدة عفاف العايدي صديقة جيهان وأخبرتها بالقصة ..

جاءتها على الفورعندماعلمت أنها ستري جيهان .. طلبت منها أن تحكي لها حكايتها فأعطتها دفترمذكرات جيهان لتستكمل تكوين صورة جيهان الممزقة.

بدأت تجميع الأحجية فظهرت جيهان كما توقعتها ..

- قالت عفاف.

جيهان ولدت لأب مصري وأم أمريكية .. كان حلم حياتها أن تتزوج مصري وتعود للحياة بمصر بعد أن تركتها بعد وفاة والدها وعادت مع أمها لأمريكا..

ذكريات طفولتها في مصروالدفءالذي كانت تعيش فيه وصديقاتها المصريات وكنت أنا إحداهن كان هناك شيء من الأنس والجمال يجذبها لمصر.

لذلك ما إن تعرفت على عاصم زوجها الذي أعجبت به وافقت على الزواج .. كان شرطه الوحيد أن تعيش معه بمصر وكان هذا أملها لذلك تمت الزيجة بسرعة متناهية ..

تركت عفاف تتحدث وبدأت تقلب صفحات دفتر جيهان الصغير.. قرأت فيه:

" رقصت الأمنيات في عيني حين ابتسم لي .. راقت لي كلماته .. سمحت له أن يقترب أكثروأكثرمن نبض قلبي المتدفق.

وأن يهمس بشغف داخل حنايا نفسي .. إقترب فإبتسمت .. عدت طفلة صغيرة تقفز وتجري .. تحولت إلى فراشة رقيقة تدفقت إنوثتي حتى فاضت "، سرحت مع كلماتها.

أكملت عفاف:

عادت إلى مصرمع زوجها ليس لها أي أقارب في مصرفعائلة والدها هاجرت إلى أمريكا منذ فترة كبيرة، شعرت بالصدمة من المجتمع المصري الجديد كان كل شيء فى مصربالنسبة لها مختلف، أسرة زوجها كانت ترفض زواجهما .. حماتها كانت تعاملها بلؤم وتكيدلها المقالب والمؤامرات، وزوجها برغم ثرائه كان بخيلاً في كل شيء حتى فى مشاعره.

كنت أشعرأنني يومًا سأسمع تفاصيل الحكاية من جيهان فقلبت الصفحات وقرأت أيضاً ..

" كنت أشعر بالغربة وأنا بعيدة عنه.. وأشعر بغربة أكثرحين أكون معه.

كان شعورالغربة يسكننى .. يملأ فراغ نفسى، فلم أستطع منه فكاكًا ".

- أسلوبها رائع.

- نعم مع إن دراستها فى أمريكا لكن والدها رحمه الله كان حريصًا على تعليمها اللغة العربية ..

- إلتقيت أنا وجيهان مرة أخري، واستعدنا ذكريات طفولتنا، كانت جيهان مثل والدها، عاشقة لتراب مصر، عندما أنجبت إبنتها نورهان، إرتبطت أكثربمصر وعندما توفيت والدتها انقطعت كل صلتها بأمريكا، فسافرت وباعت كل أملاكها وعادت إلى مصر، وأعطت أموالها لزوجها، الذى كان مشروعه متعثرًا دون أية ضمانة فقد كانت تثق به.

لقد إعترضت و حذرتها حتى أنني تجاوزت حدودى، وإتهمتها بالخضوع لعاصم وإستسلامها له، وذلك ضد طبيعتها الامريكية.

قالت جيهان:

- عندما تحب المرأة تكون قوتها هى ضعفها.. روعتها فى خضوعها وإستسلامها .. تنهزم بأرادتها تعطى بلاحدود .. هذا هوالحب وهكذا أنا.

بعد أن نجح مشروعه وأستقرت أوضاعه أعطى كلتا أذنيه لأمه لتزيد النيران إشتعالا، كان يُحب جيهان ويعتبرها طفلة يمكنه تغييرطباعها ..

لم يوافق أبدًا أن تعاونه فى مشروعه أو تعمل معه حتى .. لذلك عملت فى شركة مرموقة وكانت ناجحة كانت جيهان دائما إمرأة عملية جداً وراقية ..

ثم بدأ زوجها يسيء عشرتها ويضربها ويهينها أمام إبنتها وجيرانها.

كانت حزينة تعانى بشدة .. كرهت هذا الرجل كرهًا شديداً .. بل كرهت حياتها أيضا وتمنت الموت.

حتى تعرفت عن طريق النت على شاب وسيم عاملها بحب ورومانسية أشعرها بأنوثتها الضائعة مع زوجها كانت تحدثه فيُسمعها كلام الحب والعشق والغرام ..

طلب مقابلتها .. إصطحبتني معها في أول لقاء عرفتني به، كان شاب في قمة الوسامة والجاذبية .. شخص يشعرك أنك ملكة وأنه لايوجد فى الكون إمرأة

غيرك جعلها تشعرأنها حواء وأنه آدم .

جاء تليفون لعفاف فخرجت لتردعليه

نظرت فى دفترجيهان وقرأت ..

" كنت قبل أن أراه كريشة تتقاذفها أمواج البحر .. كمركب تائه بلا قائد في بحرلُجي، أما بعد أن تعرفت عليه فلقد إهتدت مركبي إلى الشاطئ .. شاطئ السعادة. كنا كعصفورين جميلين يحتضن يدي بيديه يلتهم وجهي بعينيه.. كنت أرتعش أمامه من السعادة أنساني ابنتي وكل ما مربي .. كنت كمن وضعت يدها أمام الشمس لتخفيها بكفها.. لم تختفى الشمس .. بل تركت في كف البلهاء حرائقها.. ولكن المطرأسعفني فتساقط زخات زخات.. ثم زارني قوس قزح فابتسمت للشمس وقلت "صرنا متعادلتين "

" عندما يظهرحبيبي يكون كالبدرالذي يضيء لي المكان.. وكنسمة الهواء الرقيقة في نهارالصيف .. وكرائحة البنفسج الندية التي تملأ حياتي ..

عندما يظهر يشرق يهمس في أذنى أحبك .. عندها فقط شعرت بأن حياتي مستمرة .

برغم أن الأرض تكون قد توقفت عن الدوران "

عادت عفاف فرأتني مبتسمة من رومانسية جيهان الواضحة فى كلماتها .

أكملت عفاف :

- خشيت أن أحترق بحبهم أوأغرق بسيله الجارف تركتهم وجلست على طاولة جانبية .

تكررت لقاءاتها به أراد أن يختلي بها لكنها رفضت قال لها سنذهب إلى أمريكا وتستعيدي حياتك ..

وافقت وطلبت الطلاق من زوجها .. فوافق بعد أن تنازلت له عن ابنتها الوحيدة وعن حسابهم المشترك في البنك واستقالت من عملها.

وفى اليوم المحدد للزفاف انتظرته طويلا فلم يحضر .. بحثت عنه .. فعلمت أنه قد قبض عليه بسبب قضية نصب ثم أُودع السجن لأنه هارب من أحكام بالسجن لمدة عشرسنوات.

كتبت جيهان في مذكراتها ..

" أنا لم أسافر ولم أهاجر لكن عندما تركني أنّ القلب واشتكي .. وصارت عيوني الخضراء بلون الدم من طول البكا.. وما كان شعري لغيره مضجعًا بل كان شوكًا أذهب النوم من عيون من أراد أن يدخل القلعة المحصنة " .

تمنت أن تصمت عفاف حتى تنفرد بالمذكرات لأقرأهاعلى مهل لكنها أرادت الإحتفاظ بحقها فى سرد تفاصيل الحكاية قائلة :

- تركت جيهان بيتي وهى فى حالة من الذهول ولم تعد حتى الآن بحثت عنها كثيراً ولم أجدها.

فحاولت الاتصال بزوجها ولكنه كان حاقدًا شامتًا لو رأها هذا الرجل لقتلها.

سمح الطبيب بزيارتها.. احتضنت عفاف جيهان وشكرت أسماء.

كانت جيهان كما عهدتها لاترد تنظرلعفاف كأنها لاتراها.

زارتها مرتين بعد ذلك وكانت عفاف تزورها يوميًا،

بعد أن تحسنت حالتها وبدأت تتحدث، طلبت أن ترى ابنتها فذهبت لزوجها وتوسلت إليه أن يسمح لجيهان برؤية ابنتها .. لكنه رفض وثار ثورة شديدة وقام بطردها.

فى المرة الثالثة ذهبت لجيهان برفقة نيفين وكانت معهما صديقتهما المحامية

ورئيسة جمعية حقوق الإنسان " إيناس فاضل" التي كانوا يسمونها عدوة الرجل ..

ملأت إيناس نفس جيهان بالأمل وقالت لها: دعيه لي سأعيد لك ابنتك وأموالك.

لقد تزوج وبالتالي أنت أحق بحضانة ابنتك كما أن توقيعك بالتنازل يعتبرتحت التهديد وهناك شهود على ذلك.

التفتت جيهان لأسماءوأمسكت بيدها وقالت :

- لا أعلم كيف أرد جميلك.

- أنا لم أفعل سوى واجبي.

- أنتِ أنقذت حياتي.

- أتريدين أن تشكريني.

- نعم.

- احكي لي قصتك.

- أنا سأحكيها لك لتكون عبرة لكل الغافلات.

بعد خروجهم من المشفى تركتهم إيناس وركبت سيارتها فعادت مع نيفين للبيت قالت نيفين:

- جيهان نجمة.

- قمرفعلا وجميلة.

- لا أقصد شكلها بل هى لها مواصفات شكل النجمة.

- كيف؟

- انظري لكل منا شخصية مختلفة عن الآخرين لكن هناك مجموعة من

الأشخاص تتفق وتتوافق شخصياتها كما في الأبراج وتأخذ شخصياتهم أحد الأشكال الهندسية ..

فالنجم يكون شخصًا .. متزنًا . منضبطا . يجيد الحكم على الأشياء ـ منتظم الطاقة ـ يحقق ما يُطلب منه – مرنًا – حساسًا – هادئا – مُنجز في عمله – موضوعيًا – مثاليًا في التعامل، يتكلم ويعبرعن نفسه بشكل جيد، بارعًا في المفاوضات (لا تدخلي معه في نقاش لأنك ستكونين خاسرة)

يحب أن تستمعي له أكترمن أن تكونى مُتكلمه.

عبرى عن أفكارك واشرحيها له بدقة بعدما تسمعى أفكاره جيدًا؛ لكن طبعًا الموضوع مختلف مع الدائري الذي مثلك ..

مع الدائري يمكن أن تتكلمي معه في موضوع ما ثم تغيري الموضوع ويتجاوب معك .. ويكمل الموضوع الجديد دون مشاكل .. لكن المربع سيقول لحظة أنت لم تكملي الموضوع .. أما الدائري الأمرعادي بالنسبة له.

- آه يعنى الدائرى ممكن يلف ويعود لنفس النقطة.

- صحيح.

- ساعدينى إذا. في كتابة حكاية جيهان؟

- اسألها أسئلة توضيحية وكررى كلامها حتى تفهم أنك فهمتي كلامها .. عندما تكرري كلامها سترتاح لأنها ستشعرأنك فاهمه.

ميزة النجمة أيضًا أنها مبادرة في فعل الخير.

- بدأت أشك فيكِ.

أ كملي باقى الاشكال.

- إيناس المحامية شكل المثلث ..

عنـدها مهـارات قياديـة عاليـة ومـؤثرة طاقتهـا عاليـة (عصـبية) تتعـرض للضغوط بسرعة . سريعة الإنفعال ـ حاسمة ـ مُندفعة ـ مُتسرعة ـ شخصية قوية ـ مزاجية ـ مُتعبة في التعامل . بتركزعلى الأهداف بإستمرار ـ حُكمها سريع على الأشياء وممكن حكمها يكون صحيحًا ولكن ليس دائمًا . تحب التحدي ـ سياسية ومُحركة بجدارة للآخرين الذين يعملوا معها ـ تحب أن تكون قائدة للفريق أكترمن كونها عضوًا فيه.

- وكيف عرفت أنها مثلث؟

- من طريقة كلامها.. فعندما طلبت معلومات صحيحة وسريعة وواضحة .. مثل الهرم.

- فلابد أن تعرضى عليها المعلومات بمنطقية وترتيب وخطوات.

- لابد أن تنتهي من نقطة ما ثم تذهبي لما بعدها.

- لابد أن تنهي النقطة الأولى بعدها النقطة التى تليها.

- يجب أن تعرضي أي موضوع دون لف أو دوران أو تطويل.. بحيث تصل للهدف بسرعة.

المثلث يقف بثبات مثل العسكري.

حافظي على برودة أعصابك عندما تتعاملين معها في المواضيع التي بها معارضة.

لأن صاحبة المثلث عصبية جدًا وإذا غلطيها تتعصب وممكن تستخدم يدها.

ابتسمت قائلة:

- هى فعلاهكذا.. وأنا تعرفت عليها عندما كنت أكتب فى صفحة الحوادث.

- وعفاف صاحبة جيهان شكل المربع .. مُنظمة . طاقتها محبوسة لكنها

تنجز عملها بهدؤها ظاهر ولكن متوترة .تهتم بالتفاصيل مُقتصدة وتعمل بإخلاص وهمة عالية .حذرة وتحب المعلومات العقلانية .وتستجيب للضغوط الخارجية.فى العادي تضغط جدًا على الورق عندما تكتب.وتقاوم التغييرحتى تعلم كل الحقائق المعقولة وتقتنع بها.

لا تحب البيئة فوضوية فهي منظمة إداريًا.

- رائع.

ابتسمت نيفين بتواضع.

أنت خطيرة فعلا يانيفين .. خسارة أنت طاقة مهدرة ..

- أمك بقي .. دايرة.

- إحترمى نفسك.

- عيب دي طنط دي حبيبة قلبي..أمك دايرة زيك.

- أنا وأمى دايرين يا .....

ضحكت وقالت:

- والله أقصد شكل الدايرة.

- أيوه وضحي كلامك كدا ثكلتك أمك .. تعرفي كل يوم يزيد عدد الناس الذين أريد أن أقول لهم ثكلتك أمك.

المهم الاقي أمي وبعدين تثكلني.

لكن أنا لن أتخلى عنك يانيفين ..

نفس الفكرة إللى كنتِ ستنفذيها مع سمير فهمي تنفذينها مع مروة .. " بنت رسامة جديدة فى الجورنال " وتعملي فى البيت وسي وائل لا يشعر بالغيرة

- يا أسماء والله إنت أجمل صديقة.

بعد فترة جاءت جيهان لي وشكرتني ..

علمت أنهاعادت لعملها وتستعيد حياتها شيئا فشيء وتترك أصوات الماضي التى كانت تلاحقها.

حددنا موعدًا للقاء أسبوعي نلتقي بها لتحكي لي

في البداية قالت جيهان :

- كنت على مفترق طرق إما أن أبكي وأصرخ وأعدو فى الطريق مستغيثة صرعى .. أو أجلس هادئة كأن الأمرلا يعنيني أو كأننى لست أنا لقد حدث لي إنسحاب من الواقع .. أصبحت متبلدة الفكرفاقدة للإحساس والروح.

- جيهان لا أريد أن أثقل عليكِ .. لاتحكي الآن حتى ترتاحي.

- لايا أستاذة أريد أن أحكي، أرغب في رفع العبء عني بالإعتراف .. أريد أن أتوب وأعترف وأستجدى الرحمة ولكن ...

لاأرى أبدًا أني أذنبت أو إرتكبت أى فعل أخجل منه ! أنا لست مذنبة .. ربما أسأت الإختيارلكنى كنت غرة ساذجة فاندفعت نحومصيرمجهول .. لم أكن يومًا جانية ولكنى كنت مجني علىَ .. لكن عندما أحكي سأشعربراحة المعترف وهدوء التائب المُقر..

كريشة فى مهب الريح، مرت بي الأعوام لم أخترأبي ولا أمي ولا بلدي ولا ديني لا سُلطان لي على نفسي ولا سيطرة لي على قلبي..لا تظني أني أمريكية قوية .. كانت صديقتي تقول أن الحب يُصيب من لا إرادة له ..

الحب إدمان مثل إدمان الخمروالميسر.. يُقبل عليه الناس للهوى والتسلية فيستولي عليهم ويُدمرحياتهم ..

كزهرة مُكللة بالندى تُعجبك ويأسرك جمالُها فإذا إردت إمتلاكُها ومددت يدك لتقطفُها أدمتك بشوكها وأسالت منك الدماء ..

قلت لصديقتي الحب أجمل شئ فى الوجود وإن كنت لم أجربه من قبل ..

قالت :

هذا كلام الشعراء وأوهامهم أنت خياليه كثيرة القراءة عليك أن تتصرفي بعقلك لابقلبك وتتبعي مصلحتك ولاتتبعي هواك.

حاولت كثيرًا أن أكون مادية التفكيروالنزعة كالمجتمع الأمريكي الذى ولدت ونشأت فيه، ولكني فشلت.

حكت لى جيهان عن أمها الأمريكية التى جاءت إلى مصرإرضاءً لزوجها الذى تعشقه .. والذي ترك مصر طفلا مع أسرته جميعها؛ ولكنها كانت عشقه الدائم

عندما عادوا إلى مصرعاشوا فى فيلا جميلة فى حي الروضة.

- كانت أمى باحثة فى علوم اللغة وكانت تحضرلكشف علمي كبيروهوفك شفرة شامبليون فقد كشفت عن وصية شامبليون لأخيه فيجاك حول ماتوصل له بعد طول بحث فى الحضارة الفرعونية والذى انتهى فيها إلي أن المصريين كانت ديانتهم توحيد خالص ولم يعبدوا الحيوانات كما أشاع شامبليون طيلة حياته.

وقد أكمل بعض الباحثين حل اللغز وقاموا بنشر مجموعة من الصورالتى تؤكد ذلك ويظهرفيها المصري القديم وكأنه يصلي ويركع ويسجد كصلاة المسلمين.

وصورة للثعابين فى قصة موسي عليه السلام .. وصورة للملك وهو يقص رؤيا السبع بقرات على المفسرين كما ورد فى قصة سيدنا يوسف عليه السلام

كانت أمي تُؤكد أن اللغة الهيروغليفية هى أصل اللغات على وجه الأرض

ولقد استعان المصري القديم بالرموز للتعبيرعن الكلمات فرسم صورة الهدهد للتعبيرعن المُثني .

عانت أمي كثيرًا فى مصر بسبب إختلاف الحياة عن أمريكا .. لكنها بعد فترة قليلة عشقتها أيضًا

عندما مات أبي بسبب إهمال علاجه في إحدى المستشفيات..

تحول حزن أمي الكبيرإلى غضب وإلى خوف من أن يصيب إحدنا مكروه فنتعرض إلى نفس مصير والدي . كنت في الرابعة عشر من عمري عندما أخذتني وعادت بي إلي أمريكا وتركنا مصروذكرياتي بها ..

كان أبي يجعل يوم الجمعة من كل أسبوع لزيارة مكان جديد بمصر.

أمسك أبي خريطة مصرمن أقصى الشمال وحتى أقصى الجنوب.. وطاف بنا حولها بالسيارة أو بالمركب في النيل بالنسبة لنا لم نكن نرى أى مظهر من مظاهر القبح فى مصر، فالأم مهما أصابها من ضررلايراها أبناؤها الاجميلة .. حبنا لها جعلنا نعشقها ..

يومًا ما قال أحدهم لأبي .. " مراية الحب عامية حد يسيب أمريكا وييجي يعيش فى مصراللى مليانه بالبلهارسيا والفقروالجوع " .

عندما سمعه أبي تعجب منه وألقى على مسامعه محاضرة طويلة فى عشق مصرمنذ الفراعنة وحتى الآن.

أذكرقوله : " مصرتُنهب منذ آلاف السنين، تُسرق خيراتها وتظل تحيا" ..

أية أمة أغنى من مصر ؟!

إن التاريخ يا أخى يقف خاشعًا عندما يذكراسم مصر، أنتم أيها المتكاسلون أسوأ ما فى مصر ..

المصري طول عمره عنده قوه وإصرارولايترك حقه أبداً..

تعرف حكاية الفلاح الفصيح؟"

ويحكي أبي حكاية الفلاح الفصيح

تقول أحداث القصة: أن فلاحًا فقيرًا يُدعى "خوان آب" من أهالي إقليم وادى النطرون بالبحيرة ..الذي كان غنيًا بنوع من الملح يُستخدم في التحنيط .. وكان "خوان آب" يقطُن قرية تسمى حقل الملح ..

قاد "خوان آب" قطيعًا صغيرًا من الحميربحاصلات قريته وساربه نحوالمدينة يريد أن يبيع المحصول .. وكان الطريق يحتم عليه أن يمر بضيعة رجل يُدعى "تحوتى ناخت" وكان موظف فاسد لدى مديربيت الفرعون ..

وعندما رأى تحوتى الفلاح وقطيعه دبر حيلة لإغتصاب القافلة بماعليها فأمر رجاله بإغلاق الطريق بصناديق الكتان فاضطرالفلاح لعبورحقل القمح الذى يملكه تحوتي فأكلت بعض الحميرمن سيقان القمح وهنا تم لتحوتي الفاسد ما أراد حتى يستولي على القافلة ..

وكانت شكوى الفلاح للوزيرقمة في البلاغة، فقررالوزيرعرض البردية التى تحتوي على الشكوى على الفرعون.. فأمرالفرعون بتأجيل الحكم في القضية ليكتب الفلاح برديات جديدة تحتوي على الفصاحة والروعة في التعبير وأمربتدوين مايقوله الفلاح بدقة وما وصلنا من أقوال الفلاح الفصيح هوتسع برديات.

يا صديقى مصرعرفت التوحيد واتبعت الأنبياء الذين وجدوا على أرضها.. وكان يحكى لى قصة "سنوحي" وقصص كثيرة وجميلة من التراث الفرعوني.

رحلنا بعد وفاة أبي .. حملت بقلبي بعض الدفء ورحلت مع أمي الحزينة.

عندما كبرت كنت أبحث عن مصرفي كل شيء أبحث عن أبي وعن زوج

يذهب بي إلى مصر.

أحبت أمى مرة ثانية وتزوجت لذلك عندما إلتحقتُ بالجامعة عشت بمفردي.

تعرفت على صديقة مصرية كانت تدرس للماجستير رافقتها دومًا.

كانت تطبخ لي الطعام المصري الذى أعشقه .. أخبرها بموعد زيارتى فتصنع لي الطعمية والكشرى.

أرسلت أمها لي جلبابًا مطرزًت تطريزًا يدويًا من سيوة.

أسماء لماذا تبتسمين؟!

- أبتسم لأننى أرى أمامى نظرتك الآتية من الماضى.

- نعم يا أسماء.. فأنا مثلا لم أنسَ يوماً رائحة الخبزالمصنوع من القمح الممزوج بالحلبة والذرة الذى كانت تخبزه زوجة البواب خصيصًا وتحضره لأبي من قريتها فى الصعيد.

كان مذاقه في فمي أجمل من الباتون ساليه والبتيفور..

هل تعلمي أن هذا الخبز كان أهل الصعيد يخبزونه من دقيق الذرة أوالشعيرلرخص ثمنهم بالمقارنة بالقمح ويضيفون عليه بعض الحلبة حتى يتمكنوا من خبزه لأن الذرة ليس لها عرق وتتفتت منهم أثناء الخبز.

- أتعلمين ياجيهان أشعرالآن أنني مقصرة في حق مصرلأنني لم أزر أي من هذه الأماكن.

- نعم يا أسماءأنتم اكتفيتم بالغناء لمصر ولكنكم لم تحبوها يومًا.

اليابانى أوالألماني وأي مواطن لأي بلد من البلاد المتقدمة لايغنون لبلادهم بل يعملون في صمت أنتم أرضيتم ضمائركم بالغناء.

- نعم ياصديقتي.

- المحب يعبرعن محبته بالفعل لا بالقول.

- وكيف يحب الإنسان وطنًا لايُشبع جوعه؟!

- عندما قامت الثورة في العام الماضي رأيت الحب الممزوج بالحزن يخرج من حنايا الشباب .. جيل الكبارضاع من قبل .. وكل الأمل فى الشباب.

بعد الإنتهاء من دراستى فكرت في العودة إلى مصر.. وفعلا عدت مع صديقتي فاطمة وأقمت في بيتهم فترة من الزمن حتى قمت بتنظيف بيتنا.

شعرت بالعجزعن العيش بمصربمفردى .. تعرضت لمواقف كثيره فقررت العودة الى أمريكا ولكن مصر كانت تسكنني كان تبريري لعودتي أنني كنت وحيدة بمصر وكان الجميع يعاملونني كسائحة فشعرت بالغربة.

عدت إذن إلى أمريكا حتى تعرفت عليه .. على عاصم .. إنهارت جيهان وبدأ جفنها يرتعش ويديها ترتعشان.

أشفقت عليها وقلت لها :

- جيهان نُكمل غدًا.

- لا يا أسماء دعيني أنتهي من حكايتي..أريد أن أواري قصة حُبي له فى مقبرة الذاكرة، أريد أن أتخلص منه

ومن أشيائه، من تفاصيل حكايتنا.. ولكن كيف وابنتي جزء منه.

ابنتي هى كل أسرتي كل ماتبقي لي من أمل في الحياة جزء منه وجهها الملائكى يشبهه.. دعيني أكمل لكِ قصتى دعيني أُخرج كل القيح المعبأ بداخل جراحي حتى أبرأ من دائي.

بعد وفاة أبي كُنت أكتُب له رسائل كثيرة إبتكرت أمى طريقة ما لتقنعني أن

رسـائلي ستصـل إلى أبـي وأنـه سـيقرأها..كنت أكتـب الرسـائل وأضـعها فى زجاجات وألقيها في البحرأليس البحرهوعشقى المشترك مع أبي،

كان (بلـزاك) يراسـل حبيبتـه لثمـان عشـرة سـنة قبـل أن يلقاهـا ومـات بعـد زواجه منها بستة أشهر.. تمنيت دومًا أن أقرأ رسائل (بلزاك) لحبيبته السيدة هانسكا، دعيني أكمل لكى تفاصيل لعنتي أقصد قصتي.

كان الجـزء القـادم من القصـة يتعلق بعاصم زوجهـا وهـذا الجـزء يـدمي قلبها فأشـفقت عليهـا لـذلك قلـت كاذبـة لأجعلهـا ترتـاح قليلا: وتؤجـل المواجهـة معـه ومع حكايته

- ولكنى مرتبطة بموعد هام .. نلتقى غدًا.

صمتت قائلة :

- لابـأس سـألقاكِ غـدًا .. نزلـت معهـا وقمـت بتوصـيلها لبيـت صـديقتها عفـاف ولـم أنصـرف إلا بعـد اطمئنـاني أنهـا تناولـت دواءهـا ودخلـت الفـراش، أشـفقت عليها.. لقدعانت هذه الشابة كثيرًا.

في صباح اليوم التالي وكان يوم الجمعة .. ذهبت إليها مبكرًا كانت لاتزال نائمة فأيقظتها قائلة :

- هيا ياكسولة أمامنا يوم طويل لقد حضرت لك مفاجأة

- مفاجأة؟

- نعم ؟

ارتدت ملابسها بحماس طفلة..

خرجنا من البيت ووصلنا إلى كورنيش النيل ساعدتها حتى صعدنا على متن

يخت يملكه صديقى الرسام سمير..

ثم قمت بتعريفها به..

- سميررسم لك لوحتك التي رأيتها.

قالت جيهان بخجل:

-أنا آسفة لكنني لا أذكر شيئًا .

قال سمير:

- أعلم فقد كنت بالنسبة لك غيرمرئي.

- ها أنتم نسيتوني أم ماذا ؟ .. هيا أرنا المفاجأة ياسمير

أدار سميراليخت وانطلق بنا، كانت جيهان سعيدة جدًا وأنا كنت سعيدة لسعادتها.

قال سمير:

- أتمانعين أن أرسم لك لوحة أخري.

قالت جيهان:

- بعد هذاالجمال الذى نسيرفيه.

لا أمانع إطلاقاً.

قام سميرليحضرلوحته وفرشاته.

قلت لجيهان : أتمانعين أن تكملي حكايتك أمام سمير

قالت جيهان:

- لا أمانع أبدًا.

بدأت جيهان تحكي لي كيف قابلت زوجها عاصم قالت:

- كنت قد بدأت العمل في شركة للإستيراد والتصدير وكان عاصم أحد

الزبائن القادمين من مصر لشراء بعض المعدات.

قال سمير :

- عشت فترة من عمري في أمريكا كنت أدرس التصوير.

- وأين كنت؟

- في نيويورك ومانهاتن لأنني درست في جامعة كولومبيا.

- أنا أيضا كنت أعيش في نيويورك.

- نيويوك تعتبرمن أكثرالولايات الامريكية تعدادًا للسكان.

- إستغليت الفترة التي بقيتها هناك وزرت نهر نياجر وشهدت شلالات نياجرا على الحدود الأمريكية الكندية، المناخ هناك في نيويورك شديد البرودة لم أكن أحتمل البرودة في الصيف.

تعرفي إني كنت في نيويورك فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

- معقول لأ !

- وهذا كان السبب أني لم أكمل بعثتي.

- أنا درست في جامعة كولومبيا أيضًا.

قالها سمير

ردت جيهان:

- كيف لم نلتق إذن، لقد كنت أبحث عن أي مصري هناك؟!

- يمكن ربنا أراد أن نتقابل هنا ..

قالت بشرود وهل أراد الله أن أتعرف على عاصم .. ثم استدركت قائلة درست الفن طبعًا.

نعم زرت أوروبا كلها لكن الدراسة الفعلية كانت في نيويورك.

- أنا زرت أوروبا .. روما وباريس.

- روما عبارة عن متحف مفتوح بدون أسوار ولا أبواب.. التماثيل والآثار في كل مكان.

- زرت متحف الفاتيكان؟

أكيد ورأيت قصة المسيحية مرسومة على الجدران بريشة مايكل أنجلو ودافنشي ورافائيل ..

شعرت هناك أنى كنت أقلب صفحات كتاب مُجسم ولكن ما أحزنني كم الاثارالمصرية التي سرقت من مصر وتعرض هناك.

- أنا يعجبني الفن الفرعوني أكثرمن النحت الروماني هناك النحات بينصرف إلى التفاصيل الكثيرة فتشعرأن فيها لعبكة.

- صحيح يا أسماء التمثال المصري يشدك بجماله من بعيد ومن قريب.. جميل بيصورالإنسان في شموخه كل شئ مصري جميل.

قالت جيهان: ذلك بإنفعال جعلنى أقلق عليها.

أكمل سمير:

-أنا أعجبني النحت الفرعوني أكترعندما زرت روما وأعجبتني مصرأكثرعندما بعدت عنها..

روما بلد قديمة نهرالتيبر يشبه أي ترعة في مصرالشوارع ضيقة الناس يتكلمون كثيرًا ويحركون أيديهم في عصبية أشبه بسكان المناطق الشعبية والشحاتين في كل مكان والخناقات في كل مكان.

- بما أنكم سافرتم كثير وأناعمري ماخرجت من مصر قولوا لي أكتربلد أعجبتكم بعد مصر؟

ردا الاثنان معًا طبعًا.

- باريس.

- لماذا باريس؟ هل كما وصفها طه حسين بأنها بلد الجن والملائكة.

- فعلاً باريس تجمع النقيضين فيها قمة العري والإبتذال لكن فيها في نفس الوقت الفن والرقي والجمال.

قالت جيهان:

- يكفي أن تماثيلنا وآثارنا الفرعونية معروضة بذوق جميل أجمل بكثيرمن مصر.. في مصرتجدينها مُكدسة فوق بعضها بعدم إكتراث لقيمتها.

أحضرلنا سميرطعامًا أعده بنفسه، أسماه إختراع، لكني أعتقد إنه وضع كل الطعام الموجود في ثلاجته في إناء وأدخله الفرن ثم قدمه لنا.

هكذا قالت جيهان:

- علي فكرة أنا طباخة شاطرة جداً.

- سنرى ولكن ما رأيكم في اليخني ده.

- رائع.

- جميل.

- لكن الشطة كتيرة ..

- أنامستعدة أحكي

- نشرب الشاى وإنتِ بتحكي.

- تعرفت بعاصم كانت هالته المصرية ولهجته تجذبني إليه فدعوته لتناول الغداء في بيتي .. جاء في موعده لكنه صمم على الإنصراف عندما علم أنني أسكن بمفردى لذلك أخذنا الطعام وخرجنا معًا وتناولناه في الخارج.

حكيت له عن مصر وجمالها فقال:

- مصرأنا أعرفها، حدثيني عن أمريكا؟.

- أمريكا لا تعجبني أنا أعشق مصر.

- كيف لا تعجبك أمريكا؟.

- نعم عمرأمريكا من عمرالزمن لايزيد عن مائتي عام أما مصرفعمرها سبعة آلاف عامًا ..

تعاني أمريكا من التفكك الأسري والإنحلال الأخلاقي ما يجعلها أمة خاوية، لم أنبهربها يومًا.

- وانبهرتِ بمصر؟

- نعم مصرتعاني وتتألم تحتاج فقط لمن ينتبه لها حتى تنهض.

إنت تعرف إن تمثال الحرية إللي تفتخربه نيويورك وبتتباهي به أمريكا كلها أصله مصري ..

- نعم؟.. مصري إزاي؟!

نعم مصري .. ديلسبس أقنع الخديوي إسماعيل بأن ينتهزفرصة مناسبة إفتتاح قناة السويس لإقامة تمثال ضخم .. وهو "سيدة القناة" ليصبح أحد المعالم الحديثة للعالم كله ويضاف إلى عجائب الدنيا السبع.

وبالفعل أصدرالخديوي إسماعيل تعليماته إلى أحدالمثالين الفرنسيين لصناعة التمثال،

غيرأن المثال الفرنسي لم يرق له أن يجسد تمثال لسيدة مصرية تحمل الجرة (البلاص) فالبلاص هو زاد الخيرمن عسل أوجبن أوزيتون منذعهد الفراعنة وحتى الأن .. والقناة هى الزاد الحديث للخيرفي مصر.

ولذلك كان من المفترض أن يكون تمثال سيدة القناة تمثال لسيدة مصرية سمراء البشرة لها نظرة الكبرياء والكرامة يطوق رقبتها طوق يمثل المسافة بين الشرق والغرب بينما اتشح صدرها بكردان صُنع من حروف بالفرنسية متشابكة تحمل عبارة "الشركة العالمية لقناة السويس البحرية" تعترض الطوق تعبيرًا عن اختصارالمسافة،

بينما السيدة المصرية تحمل فى يدها بزهو وحنان البلاص، وقد تزينت في يدها بأساور وخاتم الزواج وإرتدت جلبابًا تتدلي منه زهرة اللوتس تعبيرًاعن الأصالة المصرية.

لكن المثال الفرنسى غير وجه التمثال ونزع البلاص ووضع مكانه الشعلة والكتاب واستبدل ذلك كله بأكاليل حول الرأس ليتمكن من وضع نوافذ يستطيع منها زوارالتمثال إلقاء نظرة على القناة،

وكان ذلك كفيلا بإثارة غضب الخديوي إسماعيل فرفض إستلام التمثال المخالف للمواصفات وقام بإهداء التمثال لولاية أمريكية فقيرة هى ولاية نيويورك خاصة أنه كان قد أهدى وقتها باريس المسلة الفرعونية،

وتكفلت جمعية الصداقة الأمريكية الفرنسية بتكاليف شحن التمثال وتركيبه على قاعدته الحالية في جزيرة الحرية عند مدخل نيويورك ومن هنا ظن العالم أن تمثال الحرية هوإهداء من الشعب الفرنسى للشعب الأمريكى.

لذلك أنا أعيش في نويويوك مرفوعة الرأس كما علمني أبي أحكي لهم عن مصر وأصالتها وعراقتها.

- واضح إن والدك كان شخص عظيم.

- جدا وكان مثقفًا دائم الإطلاع ترك مصر صغيرًا كما تركتها وهو يشبهك كثيرًا.

بعد يومين اتصل بي هاتفيًا كنت نائمة ..قال بصوت يملؤه الحياء :

- أنا سأعود إلى مصر بعد أسبوعين .. هل تأتين معي؟

قلت :

- ياريت لكن ظروفي لا تسمح الآن.

- لماذا؟

- لا أستطيع الحصول على إجازة قبل ثلاثة أشهر.

- قال أتركي عملك .. عندما تعودين إلى مصر لن تحتاجي للعمل في أمريكا.

- لم أفهم .

قال متلعثمًا:

- جيهان أناعمري ماكلمت بنت ..

- لا أفهم هل يمكن أن نلتقي لنتحدث ؟

قال لا سنتحدث على الهاتف لأني سأخجل من مواجهتك ولو رأيتك ما استطعت أن أنطق حرفًا مما سأقوله الآن جيهان هل تتزوجيني وتأتي لتعيشي معي بمصر.

كدت أصرخ من السعادة ..

- انا موافقة.

- على ماذا ؟

-أن أترك أمريكا .

- لماذا ؟

- لأعيش في مصر .

- مع من؟

- معك .

- كيف ؟

- سأتزوجك.

- قولي أنك موافقة.

عندما أخبرته أنني كنت سأطلبه للزواج قال :

- الحمد لله أنك لم تفعلي ذلك .. وإلا كنت أنهيت العلاقة .. أنا لا يمكن أتزوج واحدة جريئة ما أعجبني بك أنك مثل بنات مصرخجولة وبسيطة.

تم الزواج في نفس اليوم بحفل بسيط أقامته لي والدتي القلقة .

قالت أمي:

- نعم أنا تزوجت والدك المصري ولكنه كان قد قضى عمره كله بأمريكا كنا نتشابه في الأفكار والعادات وتزوجنا بعد قصة حب دامت لعامين .. كيف تتزوجين رجلا قابلتيه منذ أقل من أسبوع .

- لكنني أحبه .

- كيف تحبينه .. أنت تحبين به صورة والدك لقد لاحظت الشبه بين عاصم ووالدك .

حقا عندما كنت أري عاصم أشعرأن والدي بعث حيًا .. نفس الشكل والصوت القوى الذي يشبه صوت قارئي النشرات الإخبارية.

ليتني استمعت لأمي فقد كانت تفهم حالتي ..أناحُرمت من حنان الأب مبكرًا لذلك أعجبت بعاصم الذى يشبه أبي ويكبرني بأعوام كثيرة ودُفعت لقدرمحتوم كنت أجري خلف سراب.

" رجل مثل أبي وسأعيش معه بمصر "هذا حلم عمري ومنتهي أملي باركي

الزواج يا أماه ألا تحبين أن أكون سعيدة ؟ .

لكنني استيقظت على حقيقة مؤلمة .. طوال يومين كنت ألمح سؤالا حائرًا على شفتيه .

عندما تحدثنا قال :

- هناك شيء أنا قلق بسببه ..

- ماهو ؟

- هل أنت عذراء؟

- لم يسبق لي الزواج .

- أعلم ..

وصمت كأنما يبحث عما يقوله :

- أنتم هنا في أمريكا تعيشون حياة جنسية بدون زواج

- آه فهمت ..

- حتى نكون واضحين أناشرطي لإتمام الزفاف أن تكوني عذراء .

تحطم جزء من صورته بعيني .. صرخت في وجهه أناعذراء لأنني لم أتزوج .. عذراء لأنني مصرية مسلمة لن أمنح نفسي لرجلا إلا إذا أحببته وأنا لم أحب قبل الآن ولن يلمسني إلا زوجي .

تركته وأنا غاضبة .. جاء بعدها ليعتذر

ويقول لي :

-أعذريني أنا تربيت على قيم ومبادئ صعب أن أغيرها .

أردت جمع أشلائه المحطمة بداخلي فجرحت قلبي لكنني تحملت، والتمست له العذر.. كنت أتمنى الإرتباط برجل صعب الإرضاء مثله لا يرضيه شيء

ولايغريه شيء .. رجل مثله ذو ذوق انتقائى ومقاييس معقدة.

كان عاصم صعبًا وقاسي القلب مع الجميع وطفلاً أمام أمه يجري ليرتمي بأحضانها يحكي لها كل شيء كل تفاصيل حياتنا كانت تعرفها.

بعد الزواج عشنا في أمريكا لمدة شهرين حتى أنهي تعاملاتي وأوراقي .. كان علي إعطاء فرصة للشركة التي أعمل بها حتى تأتي ببديل وأقوم أنا بتدريب هذا البديل.

خلال الشهرين اصطدمنا كثيرًا لكنه كان يشعرني بحبه واهتمامه .

كان معتادًا على توجيه الأوامر، وأنا لم يسبق أن أُمرت من قبل .. كنت أكره نفسي معه أكره إذلاله لي .. لكني كنت أغفر وأصفح ولا أعلم لمَ أنا ضعيفة معه هكذا .. كنت مريضة به .

علمت بحملي وكلما أردت إخباره تحدث إحدى المشاكل فلم أخبره حتى جاء يومًا لزيارتي فى الشركة التي أعمل بها وجدني أجلس مع بيتر ..

بيترهوالشخص الذي كنت أقوم بتدريبه حتى يتسلم العمل بدلا مني .

مكتبي كانت حوائطه زجاجية .. عندما اقترب وجدني أشرح لبيترشيئا ماعلى الكمبيوتر .. وكان بيتر يقف بجانبي تمامًا.

وللحق أقول إن بيترهذا شخص وسيم جداً، وحريص جدًا ودقيق في عمله .. لذلك كان يهتم كثيرًا بأدق التفاصيل، ولايفوت صغيرة ولاكبيرة إلا ويسأل عنها ليتعلم كل شيء .

عندما هجم عاصم على المكتب واقتحمه دون إستئذان رافعًا صوته لدرجة الصراخ مما لفت انتباه الجميع ثم جذبني من يدي وجرني خلفه .. طلب المديرالأمن وتم إيقافه .

أردت لحظتها أن أتركهم يذهبوا به للشرطة حتى ينتقموا منه لأنني كنت

غاضبة خجلة ..

لكنني همست قائلة :

- إنه زوجي.

قال المدير:

- أعلم أنه زوجك ولكن هذا لايسمح له أن يقتحم الشركة بهذا الشكل .

ظللت أعتذرللمديرحتى تركنا ننصرف ..

ظل صامتا حتى ذهبنا إلى البيت ثم أخرج ما بداخله من قيح .. لايمكن أن يوصف ما قاله إلا أنه قيح .

صرخت به :

- ألا تعلم بأنني محاطة بألف رجل أجمل من بيتر ومنك ولكنني كنت أبحث عن رجل مثلك .

لم يهدأ ولم يتكلم ظل يلف ويدورفي البيت، كان كالثور الهائج يركل الأثاث ويضرب الجدران ويحطم ما يجده أمامه ثم جمع ملابسه في حقيبته وغادرالبيت..

كنت أنظرإليه بخوف واستغراب .. ترك البيت لمدة ثلاثة أيام ثم أرسل لي رسالة من مصر.

" متى أردتِ العودة إلى مصر فاركبي الطائرة وأخبريني بموعد قدومك "

عندماعلمت أمي بذلك كانت حزينة وجلة تبكي قالت :

- إنه يضربك ويهينك وأنت هنا ماذا سيفعل بك إذا انفرد بك في مصر.

- هو يحبني ويغارعليَ .

- إنت واهمة لايحتاج المصري للحب حتى يشعربالغيرة .. إنه يشعر بالغيرة

لأنه يريد إمتلاكك .

- أناحامل يا أمي لابد أن أخوض التجربة كاملة لاتخافي يا أمي .

- لاأعلم يا ابنتي هل أفرح بحملك هذا أم أغضب وأحزن.

حاولت تهدئتها فقلت لها :

- لاتخافي أنا أعلم أنه يحبني جدًا.

هزت أمي رأسها وقالت :

- إفهمي جيدًا من أنت ..أنت أكبرمن أن ينالك رجل حاقد متكبرمثله.

كانت أمي تكرهه .. وكنت أبرركرهها له، بأنه لم يحاول أبدًا في المرات القليلة التي التقوا فيها، أن يكسب ودها بل أنا أعتقد أنه لم يسعَ أبدًا لكسب ودي أو ود أي إنسان آخر .

كان الحزن يرافقنى طوال رحلتي بالطائرة كنت حزينة خائفة كمن تدخل مغامرة غيرمحسوبة العواقب.

ظللت صامتة طوال الرحلة.

لم أتناول طعامًا ولم أذق النوم .

حاول الراكب المسن بجانبي أن يتحدث معي ربما شعر بحزني فأراد أن يخفف عني.

كم كنت أتمنى أن أصل إلى مصربصحبة عاصم، أتخيله بجانبي يمازحنى ويتنصت بيده على بطني فرحًا بحملي.

ويلى منك ياعاصم ومن خوفي لايزال الراكب يحدثني بلكنته الإنجليزية ولاتزال لهجة عاصم وهويتوعد وينذر، يتردد صداه في أذني.

فتقتل كل أمل عندي في حياة زوجية سعيدة وهادئة.

ظللت هكذا حتى وصلت مطارالقاهرة وبرغم أنني اتصلت بعاصم من مطارنيويورك قبل إقلاع الطائرة وردت علي والدته فأخبرتها بموعد وصولي، إلا أنني لم أجده بالمطار .. ركبت الطائرة لمدة اثنتي عشرة ساعة، وعندما وصلت إلى مطارالقاهرة كنا فى الثالثة صباحًا.. بقيت أقلب فى وجوه القادمين حتى السادسة صباحًا وأنا فى انتظاره.

لم أكن أعرف عنوانه بمصرفركبت سيارة أجرة إلى أقرب فندق ونمت به حتى مساء اليوم التالى، كانت ساعتى البيولوجية متعطلة.

استيقظت واتصلت به ثلاث عشرة مرة ولم يرد على اتصلت فى اليوم الثالث على تليفون منزله ردت والدته بكلمات مقتضبة..

- عاصم مسافر.

- مسافرأين ومتى سافر؟ أنا جيهان زوجته ألم تخبريه.

- طيب ممكن العنوان.

أقفلت السكة فى وجهي ..

فكرت بالعودة من حيث أتيت .. هل كان غاضبًا مني لهذه الدرجة.

بعد أسبوع كنت قد فتحت بيت أبي وقمت بمساعدة البواب بتنظيفه .. كانت المفاجأة التي أحملها له هى ماجعلني أحتمل قلة ذوقه وغطرسته، وهى أيضا ماجعلتني اتمسك بالبقاء في مصر.

خرجت لأسيرفي الشوارع تعانق عيناي الوجوه المصرية الطيبة، أذهب إلى السوبرماركت لأشتري طلبات البيت وجدت كل الماركات التي أريدها لكن للأسف عند استعمالها لم أجدها جيدة كتلك التي كنت أستعملها في أمريكا برغم ارتفاع أسعارها، عندما تحريت الأمرقال لي مديرالسوبرماركت:

-إنت عايزاهم يبعتوالنا بضاعة زي اللي في أمريكا.

- وليه لأ طالما بتشتروها بنفس سعرها هناك، سكت وأكتفى بتحريك كتفه.

فأكملت قائلة:

- منطقكم غريب ليه تقبلوا وتسكتوا.

تركني الرجل وكأنني أحادثه بلغة لايفهمها.

أرسلت لعاصم برقية أخبرته فيها أنني حامل وإنه إن لم يرغب برؤيتي فعلى الأقل لابد أن يواجهني كرجل وكإنسان.

لكنه تركني أسبوعًا آخرًا .. كنت قد اتصلت بشركة السياحة لتأكيد الحجزوحزمت حقائبي، ولم يبق إلا ركوب سيارة الأجرة.

فوجئت به أمامى يحمل الحقائب ليضعها في سيارته .. لم ينطق بكلمة حملنى وذهب بي إلى بيت أهله .. قابلتني أمه ببرود وتعالي، كنت أسمعها تهمس.

- دي أكبرمنك.

برغم أنها تعلم أن عاصم يكبرني بعشرة أعوام .. أسمعهم يتغامزون كلما رأوني .. وضع حقائبي في حجرة من حجرات البيت لم تكن حجرته حتى صارحملي فى الشهرالخامس .. نفسيتي محطمة كل من بالبيت يتآمرعلي حتى الخدم.

أرى مكتوبًا على وجهك سؤال.

نعم ياجيهان ولماذا تحملت كل ذلك؟

أنا لا أقبل بالفشل وأنا حامل تحديت أمي وتحديت الجميع وأخترته بإرادة حرة .

وقعت على سلالم البيت أكثرمن مرة وضعت أمه الكراكيب فى طريق سيري

للحمام، فحجرتي كانت بعيدة جدًاعن الحمام.

كان طعامي طعمه مرًا ولا أعلم سببًا لمرارته، فبدأت أشتري طعامي وأطهوه بنفسي في وقعتي الأخيرة على سلم البيت أصبت بنزيف حاد أدى إلى إجهاضي بقيت في المستشفى شهرًا كاملا كان يزورني كل يوم.

لأول مرة أرى في عينيه الندم والدموع ..

لم أخرج من المستشفى إلاعلى شقة خاصة بي كم تمنيت أن نعيش في بيت أبي؛ لكنه رفض أن نعيش في بيت أبي.

فرشت شقتي هذه على ذوقي بعد شهرين من الهدوء حملت مرةً أخرى.

كانت العواصف تثوربيننا أحيانًا وتهدأ أحيانا حتى ولدت نورهان .. كانت فرحتي بها بلاحدود، وكان عاصم سعيدًا بنا.

قال أتمنى أن تكبُرلتصبح جميلة مثلك .

عندما صارعمرها عامين تعرض عاصم لخسارة مادية كبيرة، فقد كل أمواله ودخل السجن فى قضايا شيكات بدون رصيد.

سافرت إلى أمريكا وبعت جزء كبيرمن أملاكي وقمت بتسديد ديونه، وأعطيته ماتبقي فأقام مشروعا جديدًا، أصبح الآن مشروعًا ناجحًا.

أصرحينها أن يكتب باسمى أربعين بالمائة من الأسهم وأن يحتفظ بالإدارة لنفسه .. لم يعطني يومًا أية أرباح أويخبرني بأية تفاصيل عن سيرالأموربالشركة .. رفض حتى أن أعمل معه بالشركة.

عندما كبرت نورهان والتحقت بالمدرسة صممت أن أعمل.. فوافق بشرط أن أبتعدعن شركتنا تمامًا، وفعلا التحقت بشركة أخرى واستطعت فى مدة قصيرة أن أترقى وأحصل على الماجستيرمن الجامعة الأمريكية بالقاهرة وبدأت أدرس للدكتوراه.

بعدما أصبح غنيًا مرة أخرى، بدأ يتعالى ويرى نفسه ونسي أننى السبب في نجاحه وثرائه..

وعادت ريما لعادتها القديمة كما يقولون ..أصرأن أنجب مرة أخرى .. كنت أتمنى ذلك فذهبت إلى أكثرمن طبيب، لم يجدوا عندى ما يمنع رافقني وسمع بأذنه ثم قال لي :

- أتركي عملك وتفرغي لابنتنا.

أنا تقريبًا لا أقصرلا فى البيت ولافي ابنتي .. عاصم يقضي ثلثي يومه خارج البيت وأنا أخرج مع ابنتي صباحًا وأعود معها مساءً، ويخرج هوقبلنا ويعود بعدنا، عملي لم يؤثرعلى بيتي .. ولكن كان كلما أحضر خادمة يطردها.

كثرت الإهانات والضرب كان يوصلني إلى قمة الغضب والقهروالحزن.

ثم يأتي ويحاول تطييب خاطري بكلمة أوكلمتين .. يستمتع بإذلالى .. كان يتلذذ أحيانًا بقسوته وساديته كل مرة يقربني بها كنت مغتصبة كيف يستمتع بإغتصاب ما أرغب في منحه له عن طيب خاطر؟ .

كنت بدأت أستمتع بإدماني له وقسوته التي يمارسهاعلى جسدي حتى صرنا مدمنين ..

كان هوساديًا يستمتع بحزني وصرت أنا مازوشيتية تستعذب الألم.

مرات قليلة التي حكى لي فيها عن طفولته وعن علاقته بأمه .. أمه هذه هى قاتلتي، كان يتعمد إهانتي وضربي أمامها وكأنه يسترضيها.

حتى أنه تعمد أكثرمن مرة أن يضربني في النادي أوفي السوبرماركت أو في عملي.

كان يضربني ضربًا مبرحًا .. حتى أنني في أخرمرة دخلت بسبب الضرب إحدى المستشفيات، بعد خروجي أخذت ابنتي وتركت البيت وقطعت علاقتنا تمامًا

وطلبت الطلاق.

أنا أفضل منه لماذا أحتمل رجلا مثله رجلا مريضًا..

كيف أحببت وعاشرت لثمان سنوات رجلا بهذه النذالة والقسوة.

تنحنحت قائلة :

- جيهان لمَ تحملت كل ذلك؟

- كنت غبية ..

كان سميريستمع لحكايتها ويشعربشيء ما يجذبه لها..

أكملت قائلة :

- بعدأن انتهت علاقتنا وكان الطلاق شيئًا يوافق عليه؛ لكنه كان يساوم ويماطل .. تعرفت بأمجدعن طريق الفيسبوك.

فى البداية أغرقني بتعليقاته ولايكاته حاصرني بأشعاره حتى فتحت الإنبوكس وحدثته ..

فى أول ليلة استمرحديثنا لليوم التالي لم نكف عن الكلام، غرقنا في الثرثرة من الخامسة مساءً وحتى فجراليوم التالي لم تترك أصابعى لوحة المفاتيح حتى تيبست يدي وصرت غيرقادرة على الكتابة .. تركته ونمت ولم أستطع الذهاب إلى العمل.

كنت كغارقة وحيدة في جزيرة مهجورة حتى وجدت أمامي تائها آخر فشعرت أنني أعرفه منذ يوم مولدي

عمل طويلا مرشدًا سياحيًا.. فكان يعشق كل شبر بمصر، كان يعرف كل شيء .. وعدني بجولة سياحية في ربوع مصرالتي لا يعرفها أحدًا مثله.

كان حبي له كبوابة فتحت نحوعالم غامض وخطير، كنت أشعربالإضطراب

عندما أفكرأن هذا الحب مُحرم غيرمشروع .. لكن احتمال فقدانى له زاد من شدة رغبتي فيه.

كان الحلقة المفقودة في حياتي، الحلقة التي تربطني بالماضي بأجدادي وبحياتي كان حبه لي يعوضني عن كل ما مر بي من الزمن الضائع ومن الألم.

شعرت برابط روحي يربطني به، كان يفهمنى جيدًا ويقدرمشاعري، كان يحتويني يغرقني في بحارمن الحب.

تكررت أحاديثنا .. كنا نتفق في كل شيء كأنه توأم روحي الذي اشتقت لملاقاته.

عندما أعطيته رقم هاتفي وسمحت له أن يتصل بي .. لم تكن الدنيا تسعه من السعادة.

كان خجلا في البداية .. وتكررنفس الأمر.. ظللننا نتحدث طيلة الليل..

وكل ليلة لمدة شهرثم أقدمنا على خطوة أجرأ .. وافقت أن أقابله لكنني اصطحبت معي صديقتي عفاف،

كانت عفاف ترفض الأمررفضًا قاطعًا وتقول لي أنت مجنونة كيف تقابلين رجلا وأنت لازلت متزوجة ..

لست متزوجة أنا منفصلة لا أعيش معه في نفس البيت لقد رفعت قضية خلع والمحامي أكد لي أنني سأربح القضية.

كل ما يبقيني على ذمته أنه يريد أن يستولي على أموالي.

لكن عندما رأتنا معًا .. ورأت أمجد يمسك يدى ويقبلها قالت:

- ياجهان عندنا مثل بيقول " بوس الإيدين ضحك على الدقون " .

ضحك أمجد وقال:

- أعلم أنك تخافين على صديقتك الوحيدة لكنني أؤكد لك أنها في عيني.

كان أمجد ساحر وسيم لايشبه فتى أحلامي إطلاقا إلا أنني أحببته بل غرقت فيه ..

أسرتني أناقته المفرطة لم يترك عفاف حتى جعلها تحبه وتثق به وتشجعني أن أتزوجه.

- ليتك قابلت أمي كانت ماتت وهى مطمئنة علي

ياالله كم تتعبني هذه الذكريات! تقحمني في حالة من الحيرة ..

مُتعبَة أنا من كل ما مر بي كنت أعاني من القاولون العصبي كلما هاجمني الألم أشرب صوت أمجد كدواء كلما مرت بخيالي ذكرى مؤلمة أتصل به حتى أنسي به مايؤلمني .

قالت لي عفاف:

- وداوني بالتي كانت هى الداءُ .. يُسمعك أمجد ماحلمتِ طيلة عمرك أن تسمعيه من عاصم .

عاصم لاأزال أخافه .. أكره أن يكون هناك رجال مثله يعيشون على هذه الأرض .

عاصم كان يفهم الرجولة خطأ، كونه رجلا يعطيه الحق أن يكون سيدًا مُطاعًا..أن يُخدم.

كان يريدني أن أكون خادمته التى تسيرعلى أصابع قدميها لتلبي أوامره ثم لاتحظى بكلمة شكر.

دائما لايعجبه شيء، يقلب الطعام بيديه ويعلق عليه الملح كثير، والصنف الآخرملحه قليل، وهذه الفاكهة ليست ناضجة.

- أنت من اشتراها.

- لا تقاطعيني لا تردي علي دائمًا لك رد، لماذا لا تستمعي لتوبيخى لك وأنت صامته، هذا واجب المرأة أن تسمع وتسكت.

- أعطني فرصة حتى أتعلم أن أطهولك ماتحب.

يذهب لوالدته ليأكل عندها وينام عندها.. ويتركني لمدة أسبوع لمجرد أن الطعام لم يعجبه .. ويرفض أن أحضرخادمة ويلمس الأثاث بيده ثم يصرخ قائلاً :

- أنت عمياء المنزل ليس نظيفا.

- أنا حامل أشعربدواروآلام كثيرة سأطلب من ينظف البيت.

- إنت ست البيت ولن تدخله خادمة تعبث بأشيائنا وتفشي أسرارنا.

- فى بيت أمك الكثيرمن الخدم.

- أمى كبيرة في السن ومريضة والخدم هؤلاء تربوا فى بيتنا.

- ساعدنى في التنظيف.

- والله عال هو ده إللى ناقص .

- أعمل إيه؟.

- أقولك تعملي إيه شيلي السجاد وخرجيه في الشمس وامسحي البيت ولمعيه.

- لكن أنا تعبانة والدكتورمنعني من الحركة.

- بلاش كلام فارغ كل الستات بتحمل وتولد .

ثم يخرج غاضبًا ويغلق الباب بعنف ..

لا أعلم لمَ ا رتضيت أن أغير حياتى من أجل رجل لا يغيرشيئا من أجلي كان أنانيًا يستعبدني .

عندما وصله إعلان القضية، قضية الخلع، شعر بالإهانة، جاء إلى الشركة ضربني وحطم مكتبي .. كانت معه أوراق التنازل ومعه مسدسه الذي ألصقه برأسي حتى وقعت الأوراق بالتنازل عن الشركة وعن ابنتي ورصيدنا المشترك فى البنك .

قلت له بوهن وأنا أجلس القرفصاء على الأرض والدماء تسيل من وجهي وأنفي :

- أرجوك أعتقني لوجه الله ارحمني، ارحل عني

ركلني بقدمه وكمن يطلق رصاصته الوحيدة صوب نحوي كلمة " أنت طالق " ورحل ..

استوقفه إثنان من زملائي قبل خروجه من الشركة وضربوه ضربًا مبرحًا.. كان المدير ينظرلهم مبتسمًا وراضيًا وينظرناحيتى بعطف والد حنون ..

علمت أنه كسرله إثنان من أضلاعه، وخلع ضرسه وثلاثه أسنان وظل يعالج فكه لمدة سته أشهر.. لكن كبرياءه منعه من أن يبلغ الشرطة.

أعطيت أسماء زملائي للمحامية إيناس و ستستعين بهم ليشهدوا فى المحكمة ..

لم أفهمه يومًا لم أفهم رجلاًلايحب إمرأة تتفاني من أجل إسعاده تتفاني من أجل إرضائه ، وتصنع له كل شيء يحبه،وكأنه يراني لا أليق به.

فى فترات ضعفة وفشله كان لطيفا معي يعاملني بحب يشعربالإمتنان لي ..

ثم بمجرد وقوفه على قدمين يركلني بهما ويتركني .. وينسي أنني..أنامن منحته هاتين القدمين.

سألها سمير:

- ألم يحبك عاصم يومًا.

- كان أحيانًا كثيرة رقيقا معي كان في رقته صخب الرجولة التي أعشقها .. كانت رجولته تغري سكون أنوثتي ..

كان حبي له يجعل قلبي يخفق بقوة حتى هيأ لى أنه يسمع نبض قلبي كدقات الطبول ..

كان يشعرني كثيرًا أنني فراشة أمسكها وأحاطها بكفيه ثم حبسها في كتابه الثقيل ونسيها ..

حتي أكاد أن أسحق تحت ثقل قسوته ثم يخرجني ويجعلني أرفرف قليلا في الهواء وأستنشق عبيرالحرية وأشعربالإمتنان له وقلبي يخفق بالسعادة والحب

يوصلني لنشوة التحليق ثم سرعان ما يعيدني لكتاب حياته المسطربداخله أوامره ونواهيه ..

حددت أنا وأمجد موعد الزفاف وفي اليوم الموعود لم يأتِ أمجد اختفى تمامًا عاودت الحياة لعبتها القذرة معي تمنحني الحب والسعادة حتى اذا أصبحت قاب قوسين تأخذها مني ثانية..

في اليوم التالي علمت السبب من صورته التي تصدرت صفحات الصحف مرفق معها خبرالقبض عليه بتهمة النصب والإحتيال ..

خرجت حزينة مقهورة لاأعلم إلى أين أذهب تركت بيت عفاف ولاأعلم ماذا حدث لي بعد ذلك ..

أمسك سمير يد جيهان ونحن نغادراليخت .. رأيت نظرة حب في عينيه وهويحدد معها موعدًا ليكمل اللوحة .. ورأيت على شفتيها بسمة ثقة وإطمئنان شعرت أني كنت موفقة لأنني أخترت سميروقاربه لنقضي به يومنا. كان سميردومًا شغوفا بجيهان ورأيته شخصًا مناسبًا لها تمامًا ليعوضها عما مرت به من أحزان.

في البيت كانت أمي تنتظرني على نارومعها نيفين ..

- خيرًا ياجماعة مالكم.

- طوال اليوم خارج البيت لا نعلم عنك شيئا .

- كان يومًا طويلا لكن الساعة لا تزال الثامنة .

قالت نيفين:

- إسمعي يا أسماء عندي لك عريس لقطة.

- لقطة.. يعني إيه لقطة ؟!

- يعني شخص أكثرمن رائع.

- جوازصالونات تاني يانيفين..أناجربت جوازالصالونات، هل نسيتي؟

صرخت أمي هل تزوجت بدون علمي

لا يا أمي أقصد أن خطيبي الثالث تعرفت عليه عن طريق طارق زوج أختي هنا في هذا الصالون .. كان وسيم ومثالي في كل شيئ، ثم اتضحت كذباته كلها قالت نيفين .. وأيضا جربتي زواج الحب لم ينفع .

صرخت أمي مستنكرة:

- زواج ماذا خطوبات .. خطوبات .

- يا ماما أنا تعبت.

ردت قائلة بقسوة مقصودة:

- وكبرتي .. خمسة وتلاتين سنة حرام.

قالت نيفين:

- موضوع الكتابه أثربكي ستكرهين الرجال .

قالت أمي:

- يا بنتي الفقروالجهل هوالسبب في عذاب النساء التي تكتبين قصصهم .

- لا يا ماما ليس الفقرولا الجهل ولاالمستوي الاجتماعي جيهان غنية جدًا ومثقفة .. سهام أختي زوجهاغنى وهى غنية.

وليس كل الرجال والدك، كان رجلا حنونًا ومتفهم، رجل بمعني الكلمة.

المشكلة في المجتمع كله.. المجتمع الذي يظلم المرأة ويقهرها والنساء، أيضًا مسئولون عما يصيب المرأة من ظلم.

- إسمعي يا أسماء، أكرم شخص سيعجبك جدًا . العريس عنده أربعين سنة ومعه دكتوراه وكان متزوج من أمريكية وطلقها وليس لديه أولاد، هو زميل وائل .. فاكره أكرم ، دائمًا وائل يتحدث عنه .

عاد إلى مصر وراكي وأعجب بكي

أين رآني ومتى ؟

زارك بالأمس في الجريدة وأحضر لك مجموعة من المقالات.

نعم رأيته شخص جيد، ولكن لما هذه الحيلة، هل خفتم ألا أعجبه فأرسلتموه لي متنكرًا؟

أنا لم أكن أعلم ولم يخبرني وائل إلا اليوم والشكل ليس مهما عنده ولكنه أراد الحديث معك والتعرف على شخصيتك ورؤيتك بشكل طبيعي .

والمطلوب ؟

تحديد موعد ..

ليس لدي أي مواعيد مشغولة ومرهقة وأريد النوم.

لكن أمي لم تصمت وجلست كالمحقق كرومبو لتعرف تاريخ حياته وفي أي مستشفي ولدته أمه.

فى الصباح كنت أجلس في مكتبي في حالة من الشرود قررت كتابة حكاية جيهان عندما دخل سميرقائلا :

- تعرفي القدر؟

- قدرايه؟

تعرفي إني أنا وجيهان لما راجعنا تواريخ جوازالسفروالوصول كنا في نفس المكان دائمًا

- كيف؟

- يعني مثلاً تاريخ دخولنا روما وباريس ولندن نفس التاريخ .. درسنا في نفس الجامعة في نفس الوقت والأكثرغرابة أننا رجعنا مصرعلى نفس الطائرة، لما رجعت مصربعد زواجها.

- غريبة فعلاً .. أنت كلمتها بالليل؟

- منمناش طول الليل مع بعض على التليفون .

- وبعدين ياسمير؟؟

- أنا بحبها .

- وهى؟

- لا أعلم ستأخذ فرصتها كاملة .

- لا تتسرع ..القدركلمة غريبة فعلا .. تعرف إني منذ يومين أعجبني شخص رأيته هنا في الجريدة وعندما عدت للبيت وجدته قد جاء لرؤيتي قبل أن يطلبني للزواج .

- امنحي نفسك فرصة ولا تتصرفي بعناد؟

- هخوض التجربة .

- ولكن دون أفكار مسبقة دون ريبة وشك وحكمي عقلك وقلبك .

- وأنت هل ستحكم عقلك؟ ابتسم وقال ومن أخبرك أن لدي عقل.

خرج سمير.. ولم أرفع رأسي عن أوراقي حتى سمعت خطوات تدخل مكتبي .

- رفعت صوتي لانهر من يطرق الباب .

- أنا أسف .. أمشي؟

فوجئت به يقف أمامي هو .. نفسه أكرم .. وسيم، طويل، شعره أسود، عيونه سوداء، كان يبتسم في خجل ووقار وحنان .

- صباح الخيريا أستاذه ..

رددت بتلعثم.

- أهلاً.. صباح النور.

تفضل ..

- شكرًا .. أنا أسف .

- لماذا الأسف؟!

-لأنني اتيت للقاءك اليوم والمرة الماضية دون موعد أو استئذان .. لكن أنا اعتقدت إنها طريقة جيدة نتعرف بها دون أن نخجل ونرى هل حصل قبول أم لا.

- وهل حصل قبول ؟.

- من ناحيتي جدًا جدًا.

- طيب إذا لم يحدث من ناحيتي هل سيجرح إحساسك؟

- أكيد لكن أنا أتحمل أنا في انتظار ردك على طلبي .

- وموضوع ترجمة الرسالة هل هو حجة؟

- لا بالعكس أتمني نكمل المشروع .

- طيب هل يمكن نكمل المشروع وفي نفس الوقت نعطي أنفسنا فرصة ونرى هل سنتفاهم أم لا؟ .

- أكيد سيكون هذا أفضل، ثم تنحنح قائلا ممكن نخرج من هنا ونتكلم في أي مكان ..

شعرت بالخجل فصمتُ ولم أرد .

هل شعرت بالتردد؟ والله غرضي شريف وأريد دخول البيت من بابه .

- كنت أفكر في مكان مناسب .

- هناك كافتيريا تحت الجريدة ؟

- سأنهي عملي نصف ساعة فقط وأكون معك.

- موافق طبعًا في إنتظارك .

اتصلت بنيفين قائلة :

- الحقيني .

- مالك؟؟

- أكرم هنا وينتظرني في الكافتريا .

- طيب فرصة لتعرفيه بعيدًا عن ضغط أمك اذهبي ؟

- لست مستعدة.

تخيلي شنطتي ليس بها مراية ولا قلم روج ولاحتى مشط .

هل سيراني بهيئتي هذه؟

- هو رآكي كما أنت وأعجب بك كما أنت المهم ماذا قلت له عندما رأيته ؟

- بلمت وسرحت ..

- هل يعجبك؟

- عاجبني جدًا؛ لكني خائفة.

- انزلي الصيدلية أسفل الجريدة واشتري ما تريدين .

- لاسأذهب كما أنا.

النصف ساعة خلصت ومكملتش المقال، رئيس التحريرمنتظر والمطبعة منظرة وأكرم منتظر..

- انسي الشغل شوية وفكري في نفسك خدي من الحياة الفرصة اللي نادرًا ما تتعوض ..

دخلت الكافتريا مدققة النظرفي الملصقات على الجدران ووجوه الجالسين على المناضد كنت في حالة من الشرود وجدته يبتسم .. وقف وعندما جلست إستطرد قائلا :

- أنا أعرف عنك أشياءً كتيرة جدًا من نيفين ووائل .

- مثلا إنك تحبي اللون الموف، وزهرة البنفسج، وبتحبي عبدالمطلب، مبتحبيش اللحوم، وبتحبي الأسماك، وبتحبي تقرقشي الليمون، ولا تحبي الطعم الحلو.

ضحكت :

- وماذا أيضا؟

أشياء كثيرة جدًا جعلتني أنجذب لكي جدًا، بشعرإنك طفلة صغيرة وإني هعيش معك أيام طفولتك وذكرياتك البسيطة ..

ردي طيب هل أنت مكسوفة؟

- أنا إتخطبت قبل كدا وعشت قصة حب في خطوبتي الأولى وكانت هذه القصة السبب في فشل الخطوبتين التاليتين .

- هل نحاول ننسي الماضي ونبدأ صفحة جديدة، أنا محتاج لك محتاج أحبك ومحتاج أحميكي أنا عرفت ستات كتيرلكن إنت مختلفة عنهم إحساسي بكي مختلف.

- ممكن تكلمني عن نفسك .

- يبقي أكلمك عن أمي ..

- أمك !!

- نعم أمي، الله يرحمها كانت أحن أم في الدنيا ماتت منذ ست شهور وللأسف لم أكن في مصر.

- تعرفي إن أمي كانت تخاف جدًا من الحسد وتتشاءم وتؤمن بالجن والخرافات ..

شعرت أنه يجرني خلفه لأماكن جديدة حتى يجعلني أتكلم ..

- لكن الحسد والجن مذكورين في القرآن وليست خرافات، ومصريات كثيرات وخصوصًا من جيل والدتك يؤمن بذلك.

- صحيح لكنها وصلت لمرحلة كبيرة .. فهي كانت تملأ البيت بخرز أزرق كانت تضع لي خرزأزرق في كل جيب من جيوب حقيبتي وأنا مسافر، والكف

وحدوة الحصان لم تكن تسمح لنا أن نصفربالليل ولانفتح شمسية في البيت ولانكنس البيت ولانقص أظافرنا بعدالمغرب وتلبسنا الغيارات الداخلية مقلوبة حتى تطرد النحس .

إبتسمت له في ود ..

- واضح إنك كنت بتحب مامتك جدًا .

- جدًا .. وحشتني جدًا وهي في حضني كانت بتوحشني أكتر.

- وهل تأثرت بأمريكا والأفكارالأمريكية الليبرالية والعلمانية؟

- لا يا أسماء أنا لم أشرب خمرولاعملت علاقات نسائية إلا مع زوجتي وعشت أؤمن بالحرية في حدود حريتي وحرية الأخرين محددة وبتبع الضوابط التي يحددها الشرع والقانون والتقاليد .

- لماذا يتأثر الشباب عندما يسافرون بتلك الأفكار ؟

جاء عصيراليمون فشرب قليلا ثم قال :

- هذا لأنهم يخرجون من هنا وهم في حالة من إثنتين إما أبيض بدون مبادئ ولاأفكار .. أويكونون عندهم أفكارمشوشة نتيجة الإعلام والتعليم المصري يسافرون وينبهرون بالحياة الغربية وبيبدأون في معايشة الحياة الغربية المنفلته فيحدث عندهم النزاع بين المحفور بداخلهم من قيم، ومبادئ تربوا عليها وبين ماحدث لهم من إنفلات فيستوردوا هذه الأفكارالتي معناها الحرية المطلقة، لاتحاسبني ولاأحاسبك.

وتسمح لهم بإتيان كل شيئ كان مستنكرًا في بيئتهم المصرية، هذه الأفكارعبارة عن منوم للضمير.

أنتِ أكيد تحبين القراءة ؟؟

- قارئة نهمة.

حاولت التغلب علي خجلي عندما رأيت أحد الزملاء يدخل الكافتيريا وينظرناحيتي ثم ينظرلأكرم بتعجب.

نظرلي أكرم بحب وقال أتمني توافقي على الزواج مني.

تصاعدت فجأة كل الدماء إلى وجهي وبدأ قلبي يخفق بشدة حين صوب إلىَ نظرات زلزت كل الماضي .. كان زلزالا جعلني أشعربأن كل مامربي لم يكن شيئا وأني أريد أن يمتد عمرتلك اللحظة وتلك النظرة للأبد أردت البقاء معه عمرًا بأكمله لكن لساني هرب من عقاله وقال :

- أنا تاخرت لازم نمشي .

- كما تحبين هل يمكنني أن أوصلك وأسلم على والدتك؟

- طبعا تفضل .

كان الوقت خريفًا سرنا معًاعلى شاطئ النيل كانت الأشجارتلقى بأوراقها والسماء صافية والقمرالمكتمل يشبه لؤلؤة معلقة في السماء .

حاول أن يتحدث في موضوعات كثيرة ليتعرف أكثرإلى أفكاري.

- هل تسكنين في الدقي من زمان؟

- ولدت في بيتنا هذا .. شرد قليلا فقلت: " سرحان في إيه يا أكرم"؟

فقال:

لازم أسجل هذه اللحظة، هذه أول مرة تناديني أكرم بدون ألقاب وأنا من البداية أناديكي أسماء فقط، رفعت التكليف من البداية.

لدرجة إنني قربت أقولك ياسومة .

اعتراني الخجل مرة أخرى كانت السعادة تغمرني والقمرينظرناحيتي مبتسمًا

الرياح تحمل لي رسالة فحواها آنه قد آن الآوان أن أحيا وأن أحب فلأول مرة أشعربالأمان، لاتساؤل ولاشك.

أستغرقت فى هذا الجمال .. المحيط بي فسقطت قدمي في حفرة فمد يده يسندني وظل ممسكًا بيدي حتى وصلنا البيت .

تركته في الصالون وألقيت نظرة على المرآة مدفوعة برغبة في التعرف على ماكان عليه محياي وأنا معه كانت ملامحي قد استعادت هدوءها .

إرتديت ثوبًا لم أرتديه من قبل لأني لم أجد مناسبة لأرتدائه تشتري لي أمي وشقيقاتي أثوابًا كثيرة فلا أجدها تناسبني، اليوم رأيته يناديني.

كان الثوب من الحريرالأسود المغطى بنسيج من الدانتيل المرصع بلالئ ذهبية وفضية أعجبني تناغم الثوب مع قوامي الرشيق .

خرجت من حجرتي وأخبرت أمي أني موافقة على الزواج فانطلقت الزغاريد من نيفين وأمي.

- في حجرة الصالون رأيت وجه أكرم مشرقًا تعلوه السعادة أمسك يدي قائلا لن تندمي أبدًا إن شاء الله

جلسنا معا في ركن من أركان الصالة، كانت أمي ونيفين معنا لكنهما لا يسمعان ما نقول، حكى لي قصة زواجه بزوجته الأمريكية، أعجبه طموحها وثقافتها الواسعة ونظرتها العملية للحياة؛ لكن بعدالزواج اتضح أنهما مختلفان في كل شيئ كان قد حمل بداخله الرجل الشرقي الغيور، في حين كانت هي متحررة من الدين أوالعرف أوالعادات والتقاليد.

تحترم القانون بشدة ولايمكن أن تتجاوزه أو تفعل أي شيئ يخالفه، كل شيئ عندها بميعاد وهو مصري يستعذب الفوضي .

كان في مصريعتبرمشاغبًا وفوضويًا، يمارس الفكر بلا إجازة في عالم من يفكرفيه يتهم بالجنون في عالم صارالغباء فيه هوالقانون ..

كان الإتفاق أن يمضيا حياتهما بين مصر وأمريكا؛ لكنها لم تحتمل الحياة بمصرسوى شهورقليلة ورفضت العودة معه مرة ثانية، لم تحتمل طباع أمه وأفكارها الغريبة فكان الهجروالفراق ثم تلاه الطلاق .

أحضرت أمي ونيفين العشاء أكل أكرم بشهية مفتوحة قائلاً :

منذ وفاة أمي لم آكل أكل حلو، كتيربتعزم في بيت أختي لكنها بتشتري الاكل جاهزوأنا لا أحب أكل السوق.. أحب الأكل يكون فيه نفس من يطبخه .

قالت نيفين اطمن طنط بتعمل أكل يجنن، لكن أسماء هتعودك على الأكل الجاهز.

نهرتها أمي قائلة أسماء ست بيت شاطرة .

ظل عندنا حتى وقت متأخر وبعد انصرافه أكملت ليلتي دون نوم أتقلب في فراشي وأفكرفيه وفي المستقبل .. أخيرًا سأتزوج .

في الصباح ودعت أمي قائلة:

- سأكتب اليوم آخرفصل في الكتاب .

قالت أمي ربنا معاكي يابنتي يارب نخلص من الكتاب على خير.

- الختام -

حتى الآن لم أكمل ترجمة رسالة الدكتوراه لأنني كنت مشغولة بأشياء كثيرة .. فقد سافرأكرم لأمريكا لإنهاء بعض أعماله ..

وانشغلت بولادة شقيقتي سهام لابنهاالصغير محمد .. كان الطبيب مخطئًاعندما أخبره بنوع الجنين ..

قال سعيد :

- فعلا هناك خمس أشياء لا يعلمها الاالله .. منها .. ويعلم مافى الأرحام .

تعرفى باقي الخمس أشياء ياأسماء؟

- مذكورة في القرأن الكريم وأسماها مفاتح الغيب فقال: " وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَيَعْلَمُهَاإِلاَّهُوَوَيَعْلَمُ مَافِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّيَعْلَمُهَا وَلاَحَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلارَطْبٍ وَلاَيَابِسٍ إِلاَّفِي كِتَابٍ مُّبِينٍ"

وكذلك أسماها النبي في الحديث الشريف عن ابن عمر – ﷺ – عن النبي – ﷺ – أنه قال: "مفاتيح الغيب خمس أشياء لا يعلمها إلا الله، لايعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولايعلم ما في غد إلا الله، ولايعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلاالله، ولايعلم متى تقوم الساعة إلاالله " رواه البخاري

- أعتقد قوله "وَيَعْلَمُ مَافِي الأَرْحَامِ" ليست فقط نوع الجنين، لكنه يقصد معرفة عمره واسمه وشقى أم سعيد.

أقنع وائل مروة ابنة خالته بالعودة لزوجها وقام بتوصيلها للمطاربنفسه.

نيفين بدأت الكتابة في الجريدة بالتعاون مع مروة الرسامة.

وبدأنا نجهزشقة أم أكرم الخاصة به أحتفظت له بذكرياته مع أمه وبخرزاتها الزرقاء .

وعندما صدركتابي نساء ضائعات كانت فرحتى لا توصف وكأنه مولودي الأول.

قام أكرم بإهدائي مدونة إلكترونية باسم نساء ضائعات. بدأت بتسجيل خواطري فيها وذكرياتي عن الكتاب؛ لكن سعادتي الكبرى كانت عندما تبرع رجل أعمال بمبلغ كبيرلإنشاء دارلايواء السجينات التائبات، فقمت بشراء بيت كبيرجهزت إحدى شققه كمأوى وشقة أخرى لعمل مشغل للنساء والمحلات في الدورالأول كانت معرض يبعن فيه إنتاجهن .

اليوم ذكرى زواجي الأول .. أصبح لدى بيت مملوء بالدفء ولقد رحلت تلك المرأة البائسة من مرآتي أرى بدلا منها الآن شابة يترقرق ندى النشاط في ملامحها .. صرت سعيدة .. تتجول عيني فى غرفة نومي الوردية المعطرة.. يأتيني صوت أكرم من الحمام وهويدندن أغنية وأمرر يدي علي بطني فرحة بإحدي ركلات الطفل القابع في بطني، اتحسس عنقي، استعيد هماسات أكرم في أذني يخرج من الحمام فيدخل البخارخلفه ..وتتبخرأحزاني.

سيرة

منى سليمان مراد

كاتبة روائية وشاعرة مصرية

عضواتحاد كتاب مصر وعضو نقابة المعلمين المصرية

صدر لها مجموعة من الروايات

- دموع الياسمين ٢٠١٢
- بائع الأحلام المتجول ٢٠١٢
- رجل من درب التبانة ٢٠١٤
- وعد ومكتوب ٢٠١٤
- عائد من مواكب الراحلين ٢٠١٥
وساكسيفون ٢٠١٨